مجلة
وطني
Watany

ثقافية ـ تصدر شهريا ـ
تصدر عن التجمع الشعبي العربي
العدد 42 يناير 2026 م

المبدع عبدالعزيز السعيد
ينتصر لسيادة الإنسان، ويبهر "ماسك".. محطما لعبث "الشريحة"

■ خطوط حمراء أمريكية

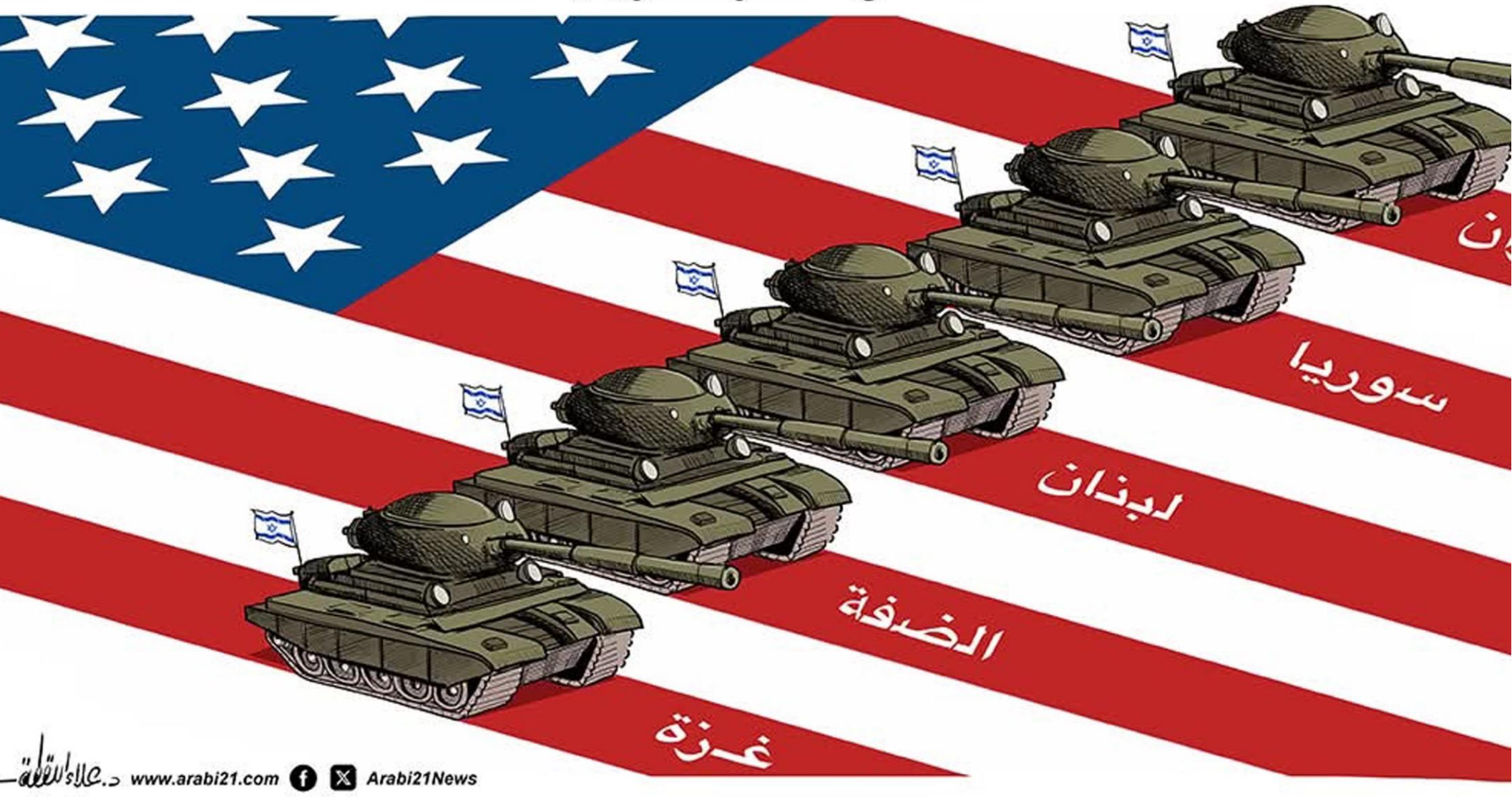

■ المنظومة الأخلاقية والتربية الروحية
أين هي في مناهج الأمة؟! (ثانيا)
■ خيام بلاء دفء، أطفال ونساء السودان في وجه الحرب
■ الدولة التنموية، كيف أعادت كوريا تعريف القوة في زمن الأزمات؟ ، دروس للنخب العربية ،
■ التعليم المؤدلج والجهل الإجباري
■ الصناعات الثقافية والإبداعية وأثرها على التنمية
■ منطقة الصفر في منهج الحفر الثقافي الجدلي
قراءة النصوص من الداخل
■ الناقد ...
الجندي المجهول الذي لا يراد الاعتراف بجهده في السنوات الأخيرة،
■ أغنية الفيل ، قصة قصيرة ،

قضية العدد
منظومة التعليم وصناعة الوعي
آليات إعادة إنتاج الوعي المقنن « الإعلام، الخطاب الديني، والدولة : تفكيك السرديات المتحالفة » ((الحلقة الثانية))

كل عام وأنتم بخير

2026

مجلة

وطني

Watany

مجلة وطني Watany

مجلة ثقافية ـ تصدر كل شهر
عن التجمع الشعبي العربي
العدد 42 يناير 2026 م

شروط النشر في المجلة :

- ترسل المواد لبريد المجلة ، و المراسلات باسم السيد رئيس التحرير .

watanymagazine2020@gmail.com

- المواد المرسلة للمجلة يجب أن تكتب في ملف word
- المواد المترجمة عن لغات أخرى غير العربية ، يتم إرفاق نسخة عن النص بلغته الأصلية .
- المواد المنشورة في المجلة لا تعبر بالضرورة عن رأي المجلة أو التجمع الشعبي العربي ، بل هي تعبر عن رأي كاتبها .
- يجب مراعاة ضوابط النشر الأخلاقية .
- ترفق مع المادة سيرة ذاتية موجزة للكاتب .
- تنظر المجلة و بعناية إلى المواد التي ترسل و برفقتها صور أو رسوم أو وثائق لدعم المادة المطلوب نشرها .
- ترتيب المواد و الأسماء يخضع لاعتبارات فنية .
- لا تقبل المواد المنشورة أو المقدمة لدوريات أخرى .

الإشراف العام
أ.د سعد العتابي

رئيس التحرير
د. طلال خير الله

نائب رئيس التحرير
د. محمود عبد القوي الشيخ

إدارة التحرير
د. شاكر صبري حافظ
فيفي فاروق عوضين

سكرتارية التحرير و النشر الإلكتروني
سها أكرم أبو غالي
نوال عودة

إدارة العلاقات العامة
رستم عبد الله
لطيفة محمد حسيب القاضي
د. كمال دفع الله بخيت
أ. خالد الحديدي
أ. ميرغني ابشر عثمان

الإخراج الفني
أحمدبن عفيف النهاري

لوحة غلاف المجلة
الفنان التشكيلي الفلسطيني علاء اللقطة

معرض طوفان الأقصى
الفنانين عمر بدور . الردن . د. علاء اللقطة . فلسطين . عمر السطر . تونس

فواصل المجلة الداخلية الفنانين خالد هنو و عمر بدور

أهلاً و سهلاً : من "ماما أمريكا" إلى غزة ، سلام الإنذارات، وبداية عامٍ لا يوقّع على الاستسلام 5
طلة : المنظومة الأخلاقية والتربية الروحية... أين هي في مناهج الأمة؟! (ثانيًا) 6
قضية العدد :
منظومة التعليم وصناعة الوعي جذور الخلل ومآلاته، آليات إعادة إنتاج الوعي المُقَنّن: تفكيك السرديات المتحالفة ((الحلقة الثانية)) ..12
طوفان الأقصى :
حين يتمزق الجسد ، من يداوي العالم الإسلامي؟! 15
شمعون الصفا 16
خيام بلاء دفء أطفال ونساء السودان في وجه الحرب 18
توقيعٌ على صفحة الذاكرة.. 20
موسم شواء حرف بين يدي غزة 21
حرب لا تنام 22
مساحة حرة : الأخرس الذي كان يُملي... وبيروت التي صفّقت 38
حقائق ساخنة : الإمارات وإسرائيل: حلف استراتيجي..!! ومشروع « حزام القواعد » 40
من سيئول : إلى العالم : الدولة التنموية، كيف أعادت كوريا تعريف القوة في زمن الأزمات؟ دروس للنخب العربية 41
قلم حر : حروب «إسرائيل» غير المنتهية 43
مرايا :
التعليم المؤدلج والجهل الإجباري 46
الصناعات الثقافية والإبداعية وأثرها على التنمية 48
التَّحوُّلُ بوصفِهِ فرضَ عينٍ : كيفَ يُطهِّرُ الألمُ روحَ الوطن؟! 55
رنين الوفاء حين يهتز القلب على تردد الحب 57
كيمياء الخَلق وقداسة الإنسان والوطن 60
المرأة العاملة في ظل الحروب تحديات من أجل العيش بكرامة 62
نظرات عميقة في سورة "يوسف" "الحزن أنموذجا "..!! 64
الهروب إلى الغيب جدلية العودة إلى الأصل المجهول 66
الحُب ... قلب ازداد دقاته 67
شخصية العدد :
المبدع عبدالعزيز السعيد ينتصر لسيادة الإنسان، ويبهر "ماسك".. محطماً لعبث "الشريحة"..... 68
بؤر النص : حفريات في المعنى
منطقة الصفر في منهج الحفر الثقافي الجدلي قراءة النصوص من الداخل 69
مثاقفات عربية :
الناقد ... الجندي المجهول الذي لا يُراد الاعتراف بجهده في السنوات الأخيرة،..... 73
لماذا نستمر في الكتابة...؟ 75
قراءة نقدية، كَزال إبراهيم خَدر غواصة في بحر الجمال 76
قراءة في رواية "حفيدة غردون باشا"، فلسفة الحروب واستغلال الهويات الدينية للقضاء على سبل التعايش بين بني البشر 78
السياحة :
التاريخ حين يُكتب بهدوء، قراءة في صيانة الذاكرة العلمية لمدينة زَبِيد 81
سوق المطلقات في موريتانيا، حين تتحوّل العادات إلى أسماء 84
ونسة ميرغني :
أغنية الفيل، قصة قصيرة 86
قطوف دانية :
الخبيث 89
تلك الأشياء 91
طائرة ورقية 93
النهار العاري 94
ذاكرة الضوء 95
الرحى 96
عندما تتمرد الاحرف 97
حمل كاذب و قصص أخرى، قصص قصيرة جدًا 98
درك النسيان 99
أدب الأطفال :
حُلْمٌ فِي لَيْلَةِ رَأْسِ السَّنَةِ..... 101
الصحة أولاً يا صوفيا 102
مسرحيتان قصيرتان للأطفال 103
المبدع الحقيقي 105
هوامش السؤال : الأسود الذي أحببته 106
أنفاس الشعور : قهوة من نشيد 107
نواليات : صناعة التفاهة 108
همسة : نشتعل حتى الفناء، أمةٌ تُعيد حرب البسوس ولا تتعلّم 110

من "ماما أمريكا" إلى غزة

سلام الإنذارات، وبداية عام لا يوقع على الاستسلام.[

▪ مع حلول العام الجديد 2026م، جعله الله عام بركة ونصر لكل مؤمن، تطلّ الحبيبة "مجلة وطني" على قرّائها في حلّة جديدة عبر موقعها الإلكتروني، لا بوصفها واجهة إعلامية فحسب، بل باعتبارها مساحة مقاومة هادئة، ونضالًا فكريًا وأدبيًا لا يرفع السلاح، لكنه لا يسلّم العقل. نبدأ عامًا جديدًا، فيما العالم من حولنا يصرّ على إعادة تدوير المأساة، وتسويق الهيمنة بأسماء أكثر نعومة.

▪ في هذا التوقيت بالذات، جاءت زيارة النتن الأخيرة إلى "ماما أمريكا"، زيارة لم تكن بروتوكولية ولا ودّية، بل أقرب إلى جلسة تجديد وظيفة. واشنطن لم تسأل عن السلام، بل عن الأداء، ولم تبحث عن العدالة، بل عن كيفية ضبط الإقليم، وتقليم ما تبقّى من أنفاس المقاومة الحية.

▪ "ماما أمريكا" كما عهدناها لا تغيّر لغتها، لها خطوط حمر واضحة: ألّا تُهزم ربيبتها "إسرائيل" سياسيًا، حتى لو تعثّرت عسكريًا، وألّا تتحوّل المقاومة إلى شرعية، وألّا يخرج الإقليم من حالة "الإدارة المهيمنة" إلى أفق التحرر والاعتاق من التبعية الفجّة.

▪ من هنا خرجت "خطة السلام" بإنذارها الشهير ومهلتها الصارمة وعبارتها الفجّة: «الجحيم كله». لغة لا تشبه السلام، بل تشبه الأمهات القاسيات بفظاظة، كأم الخليفة الجارية "شغب، أم الخليفة المقتدر بالله"، التي قتلت ابنها، وحكمت العالم الإسلامي قرابة ربع قرن وهي جارية بالقصر، حين يهدّدن ويقتلن الأبناء الخانعين بالإقصاء والإذلال والعقاب، ويطلبن من الضحية أن توقّع كي يتوقف الضرب.

▪ الخطة، في جوهرها، ليست أكثر من إعادة صياغة قديمة: وقف نار مقابل نزع سلاح، إغاثة مقابل وصاية، إعمار بلا سيادة، ومجالس دولية تمسك بالقرار، فيما يُترك للفلسطينيين دور التنفيذ والصبر.

▪ غزة هاشم في هذه المقاربة ليست وطنًا بل ملفًا، وليست شعبًا بل "حالة إنسانية"، يُطلب منها أن تنسى سلاحها قبل أن يُرفع عنها الحصار، وأن تثق بوعود انسحاب بلا خرائط ولا حدود، وبضمانات لا تملك آليات إنفاذ.

▪ أما الموقف العربي الرسمي فكان، كالعادة، أقرب إلى غرفة الانتظار؛ بعضه بارك، وبعضه صمت، وبعضه ضغط على الضحية باسم الواقعية، لا حبًا بالسلام، بل خوفًا من أن تنتصر المقاومة سياسيًا، فتفضح مدى عجز بعض الأنظمة وهشاشة خطابها. وفي خلفية المشهد، تظلّ روح المقاومة في

يمـــن الإيمـــان والحكمـــة، وإلـــى مراكـــز المقاومـــة الشـــريفة الأخـــرى بـــالوطن العربـــي مـــن المـــاء إلـــى المـــاء، حاضـــرًا دون أي ضـــجيج؛ لا يـــدخل المفاوضـــات ولا يعتـــرف بالمهـــل، لكنـــه يربـــك الحســـابات ويـــذكّر بـــأن خطـــوط "ماما أمريكا" الحمـــر ليست قدرًا نهائيًا.

▪ ومـــع ذلـــك كلـــه، تســـتمر الغـــارات ويســـتمر القصـــف، حتـــى بعـــد الـــدعوات الأمريكيـــة لوقـــف النـــار، لا تـــزال العربـــدة مســـتمرة دون توقـــف. هنـــا ينكشـــف الجـــوهر: الكـــلام للاستهلاك، والنار لها مسار آخر.

▪ والخلاصـــة واضـــحة: الســـلام بـــلا تحريـــر استســـلام، والإعمـــار بـــلا ســـيادة تبعيـــة، والمفاوضـــات تحـــت التهديـــد ليســـت سياسة، بل ابتزاز.

▪ فـــي "مجلـــة وطنـــي"، ونحـــن نســـتقبل عـــام 2026، نعـــرف أن الطريـــق مُضـــنٍ وطويـــل، والكلفـــة عاليـــة، لكننـــا نـــؤمن أن النضـــال الفكـــري والأدبـــي والثقـــافي ضـــرورة لا ترفًـــا، وأن الكلمـــة التـــي لا تخضـــع شـــكل مـــن أشـــكال المقاومـــة الحـــرة، وأن الأوطـــان لا تُســـتعاد بالبندقيـــة وحـــدها، بـــل بشـــعلة الـــوعي ونـــور الـــذاكرة، ورفـــض قـــاطع لتحويـــل الظلـــم إلـــى "حـــل واقعـــي". نكتـــب لأن الصـــمت شـــراكة، ونســـتمر لأن الهزيمـــة الحقيقيـــة تبـــدأ حـــين نتوقـــف عـــن التفكيـــر، وتُغلـــق نوافـــذه تحـــت كـــل المســـميات البراقـــة والمنصـــات المخـــدّرة للـــوعي العربـــي الحـــر. فـــإن لـــم تكـــن مؤمنًـــا برســـالة خالـــدة، فضـــحت المنـــافقين فـــي ســـورة التوبـــة، وحفظـــت مقدّراتـــه لحقـــب ولأجيـــال وقـــرون، كـــن حـــرًا فـــي حياتـــك ومعيشـــتك، لتفخـــر بـــك أجيالـــك القادمـــة، وكفى بوعي ويقظة!

▪ سنبقى – أحبتي الأعزاء – ضمن الحديث عن المنظومة الأخلاقية في ديننا الحنيف، بوصفها من أهم جوانب الاستقامة، إذ تشمل مجموعة من القيم والمبادئ التي تحكم سلوك المؤمن والمسلم في مختلف جوانب حياته اليومية. وفيما يلي بعض أهم عناصرها:

▪ أولًا: الأخلاق مع الله – جلّ وتعالى شأنه وتدبيره
ويتقدمها التقوى، والحرص على طاعته، وحسن عبادته، من أداء الفرائض بعلم لا بجهالة ولا بغثّ موروث؛ كالصلاة التي هي عماد الدين، ولا سيما صلاة الليل والناس نيام، والصيام في شهر رمضان وغيره من الأوقات في حياة الفرد، والزكاة لتزكية النفس وتطهيرها مما يعلق بها من أدران يومية، والصدقات، ولا سيما صدقة السر، وأداء الفرائض وعلى رأسها فريضة الحج لمن استطاع إليه سبيلًا، وشكره على نعمه بالعمل لا بالكلام فقط:
﴿اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا ۚ وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: 13).

▪ ثانيًا: التوحيد والإيمان
فأساس الأخلاق الإسلامية هو الإيمان بالله وحده، الواحد الأحد الفرد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوًا أحد، واليقين الثابت بأنه رقيب على أفعالنا صغيرها وكبيرها؛ فإن لم تكن تراه فإنه يراك.

▪ ثالثًا: العدل والإحسان
فالإسلام يحث على العدل في التعامل مع الناس، ويجعله أساس الملك؛ فإن لم تعدل فيما ملكت فأنت إلى الخسران أقرب وأسرع، مع الإحسان إلى الآخرين مهما اختلفت درجتك ودرجاتهم.

▪ رابعًا: الصدق والأمانة
وهذه صفة الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم قبل البعثة وقبل تكليفه بالصدع برسالته الخالدة وتبليغها للناس، إذ عُرف بالصادق الأمين. فالصدق في القول والعمل شأنه عظيم في منظومتنا اليومية، والأمانة في التعامل مع الأموال والودائع، وحفظ الحقوق أيا كانت، وأداؤها كما أراد الخالق سبحانه، تجعل الفرد والمجتمع متميزين بالنقاء والصفاء.

▪ خامسًا: حسن الخلق في المجتمع
والتعاون على البر والتقوى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والحث على الخير، والنهي عن الشر، والكرم في التعامل مع من حولك.

▪ سادسًا: التواضع والرحمة
فمن تواضع للناس رفعه الله وأعز مقامه، ومن رحمهم رحمه الله: «الراحمون يرحمهم الرحمن».

سابعًا: العفو والتسامح
العفو عند المقدرة، والتسامح مع من حولك طلبًا للأجر من الله.

▪ ثامنًا: حسن الخلق مع الناس
وحسن التعامل معهم بالاحترام وكرم العطاء.

▪ تاسعًا: الاحترام والتقدير
لنفسك وللآخر، وتقديره أيا كان موقعك وموقعه.

▪ عاشرًا: الزهد والقيام بالواجبات
فالزهد في حطام الدنيا الزائل، والقيام بالواجبات اليومية، يضعانك في مقام رفيع داخل مجتمعك.

وما هذه إلا نماذج مختصرة لبعض العناصر الأساسية في المنظومة الأخلاقية الإسلامية؛ فهل شملتها مناهج الطلبة على مقاعد الدراسة في عالمنا الإسلامي؟

▪ وهنا سيبقى «السؤال البريء» – بقدرة المولى – مستمرًا معنا في:
{المنظومة الأخلاقية والتربية الروحية.. أين هي في مناهج الأمة؟!} (ثالثًا)، وكفى بد.

📍 فاصلة:
▪ جاء في نهج البلاغة، من خُطب أمير المؤمنين كرم الله وجهه ورضي عنه وأرضاه» :في سعة الأخلاق كنوز الأرزاق.« 📌 نهج البلاغة

اختيار الإعلامية نيدا زريق أفضلَ شخصيةٍ إبداعيةٍ لخدمة الإنسانية في مهرجان «روائع» الدولي بالقاهرة

القاهرة | لطيفة محمد حسيب القاضي

في ليلةٍ عربيةٍ بامتياز، استضافتها أروقة المتحف القومي للحضارة المصرية، كرَّم مهرجان «روائعِ للإبداع الدولي» في دورته العاشرة الإعلاميةَ وسيدةَ الأعمال وسفيرةَ السلام الفلسطينية نيدا زريق، وذلك بمنحها درعِ التميّز بوصفها أفضلَ شخصيةٍ إبداعيةٍ قدّمت أعمالًا جليلة تخدم الإنسانية لعام 2025.

وانطلقت الدورة العاشرة للمهرجان تحت عنوان «أن تكون إنسانًا»، وهي نسخة خُصِّصت للاحتفاء بالمبدعين والمؤثّرين في الوطن العربي الذين سخَّروا نجاحاتهم المهنية لخدمة القضايا الإنسانية والمجتمعية. وجاء اختيار نيدا زريق تتويجًا لمسيرتها الطويلة في العمل الإنساني، وبصفتها سفيرةً للسلام تمثّل فلسطين في المحافل الدولية، إلى جانب دورها الريادي في قطاع الإعلام والإنتاج الفني.

وفي إطار هذا التكريم، مُنحت نيدا زريق درجة الدكتوراه الفخرية من قِبل اتحاد المبدعين العرب في إسبانيا، وذلك بالتعاون مع مهرجان «روائع للإبداع الدولي»، تقديرًا لإسهاماتها الإعلامية والإنسانية، ودورها المؤثّر في دعم قضايا السلام والإنسان.

وتُعدّ نيدا زريق نموذجًا للمرأة العربية القيادية، إذ تترأس شركة «نيدا جروب» للخدمات الإعلامية والإنتاج الفني، واستطاعت من خلال مؤسستها تقديم محتوى إعلامي يجمع بين الجودة الفنية والرسالة الإنسانية، ما عزّز حضورها إعلاميةً وسيدةَ أعمال تمتلك رؤيةً استثماريةً واعيةً وداعمةً لقيم السلام.

وشهد الحفل حضور نخبة من الفنانين ورجال الأعمال والإعلاميين وصنّاع القرار من المملكة العربية السعودية، والأردن، وفلسطين، وجمهورية مصر العربية، الذين أشادوا بالدور الذي تقوم به زريق في مدّ جسور التواصل الثقافي والإنساني بين الشعوب العربية.

وفي كلمةٍ لها خلال حفل التكريم، قالت الأستاذة نيدا زريق:

«إن تكريمي اليوم في صرحٍ عظيم كمتحف الحضارة المصرية، وتحت شعار (أن تكون إنسانًا)، هو وسام فخر ليس لي وحدي، بل لكلّ من يؤمن بأن الإبداع رسالة، وبأن السلام مسؤولية. وبصفتي سفيرةَ سلامٍ لفلسطين، أؤمن بأن الإعلام والإبداع يشكّلان قوةً ناعمة قادرة على إحداث تغيير حقيقي وملموس في واقعنا الإنساني».

« حين يوقّع الوجع قصيدته»... فاضل الكعبي يوقّع ديوانه الجديد في معرض العراق الدولي للكتاب

بغداد . وطني

ضمن فعاليات معرض العراق الدولي للكتاب، نظّم جناح دار الشؤون الثقافية العامة مساء الخميس الموافق 11 ديسمبر 2025م، في تمام الساعة الخامسة مساءً، حفل توقيع ديوان «فصلان من وجع وحب» للكاتب المفكر والناقد والباحث، الشاعر والقاص والكاتب المسرحي العراقي الدكتور فاضل الكعبي، بحضور نخبة من الأدباء والمثقفين وروّاد المعرض.

وافتُتح حفل التوقيع بكلمة للشاعر الدكتور عارف الساعدي، مستشار رئيس الوزراء الثقافي والمدير العام لدار الشؤون الثقافية العامة، الذي رحّب بالحضور وأشاد بتجربة الكعبي الإبداعية ومكانتها في المشهد الثقافي العراقي والعربي، وذلك بحضور الشاعر والناقد الكبير الدكتور علي جعفر العلاق، وجمع من الشعراء والأدباء والفنانين والإعلاميين والمثقفين العراقيين والعرب. وقال الدكتور عارف الساعدي: «إن هذا الديوان هو إضافة نوعية إلى المكتبة الشعرية العراقية، ويعكس قدرة الشاعر فاضل الكعبي على التعبير عن تجربته الإنسانية بكل صدق وشفافية».

وشهدت الفعالية تفاعلًا لافتًا من الجمهور، حيث استمع الحاضرون إلى كلمات مقتضبة عن تجربة الديوان وظروف كتابته، قبل أن يشرع الكعبي في توقيع نسخ من عمله، وسط أجواء اتسمت بالتأمل والإنصات، عكست عمق التجربة الإنسانية التي يحملها الديوان.

ويأتي هذا الإصدار ضمن منشورات دار الشؤون الثقافية العامة، ليضيف منجزًا جديدًا إلى تجربة الدكتور فاضل الكعبي، التي طالما اشتبكت مع الهمّ الإنساني والوجداني، ولامست مناطق الألم والفقد والحب بلغة شعرية صادقة ومكثفة.

وفي حديثه عن ديوانه، قال الدكتور فاضل الكعبي:

«هذا ديوان مؤلم للغاية، كتبته بمخاض عسير من الوجع والمرارة والآلام التي لا تُعد. وهو يضم فصلين: الأول قصائد رثاء لابنتي الفقيدة الشابة، والفصل الثاني قصائد حب ووجدانيات.»

ويعكس هذا التصريح البنية الشعورية للديوان، الذي يتقاسم نصوص اللوعة والفقد والوجع الناجم عن رحيل ابنته الشابة، مع قصائد الحب والغزل والوجدانيات، بوصفها طاقة إنسانية مضادة للحزن، ومحاولة للتشبث بالحياة وسط الخراب الداخلي.

نبذة عن الشاعر

الدكتور فاضل الكعبي كاتب مفكر وناقد وباحث، وشاعر وقاص وكاتب مسرحي عراقي، يُعدّ من الأسماء البارزة في المشهد الثقافي العربي. صدر له في مجال الإبداع أكثر من مئتي كتاب في الشعر، والقصة، والحكاية الشعرية والمسرحية، وروايات اليافعين، إلى جانب إصداره 33 كتابًا علميًا ونقديًا وفكريًا في الدراسات المتخصصة بأدب ومسرح وثقافة الأطفال، التي تُعد من أبرز المراجع في هذا الاختصاص على المستويين العربي والدولي.

ويمتد عطاؤه الإبداعي والعلمي لأكثر من خمسين عامًا من الكتابة المتواصلة، ما جعل تجربته مرجعًا لعشرات الدراسات والأبحاث الأكاديمية، كما أنه عضو مُحكِّم في العديد من المسابقات والجوائز العربية، ونال خلال مسيرته عددًا من الجوائز العربية والدولية، وشارك في مؤتمرات ومهرجانات ثقافية وأدبية داخل الوطن العربي وخارجه.

وأقام الدكتور فاضل الكعبي العديد من ورش العمل المتخصصة في أدب ومسرح وثقافة الأطفال، إضافة إلى الشعر للكبار. وقد أصدر سابقًا ستة دواوين شعرية، ثم توقّف عن نشر الشعر للكبار لأكثر من عشرين عامًا، قبل أن يعود إلى الإصدار من جديد، حيث نشر في عمّان الأعمال الشعرية الكاملة – الجزء الأول، ويأتي ديوانه الجديد «فصلان من وجع وحب» امتدادًا لهذه العودة، جامعًا بين مراثي الفقد وقصائد الحب والوجدانيات في تجربة شعرية شديدة الخصوصية والصدق.

ويؤكد هذا التوقيع حضور الشعر بوصفه فعل مقاومة للوجع، وجسرًا حيًا بين الكاتب وجمهوره، ضمن تظاهرة ثقافية تواصل ترسيخ مكانة معرض العراق الدولي للكتاب منصةً حاضنة للإبداع العراقي والعربي.

حوارات تفتح أبواب الكلمة والإبداع...
الشاعر السوداني محمد نجيب محمد علي في إصدار جديد

وطني . لندن

صدر حديثًا عن دار زراف للنشر – لندن كتاب «حوارات في عوالم الكلمة والإبداع» للكاتب والشاعر السوداني محمد نجيب محمد علي، في عملٍ حواريٍّ يضيء مسارات الكتابة والإبداع، ويقارب أسئلة الثقافة والفكر من داخل التجربة الإنسانية الحيّة. الكتاب متاح عبر أمازون، وسيكون حاضرًا ضمن إصدارات معرض القاهرة الدولي للكتاب.

يأتي هذا الإصدار امتدادًا لمسيرة محمد نجيب محمد علي، وهو شاعر سوداني متميّز، فائز بـ جائزة الطيب صالح العالمية للشعر لعام 2021، واسمٌ معروف في المشهد الثقافي العربي بأعماله الشعرية مثل: «تعاويذ على شرفات الليل»، «نداء الأجنحة»، و*«أناشيد الأسئلة»*. وقد عُرف أسلوبه بمزج الشعر الفصيح مع التفعيلة، وبنزوعه إلى التجريب الجمالي، مع التصاقٍ واضحٍ بهموم الواقع والحياة اليومية، حيث تتجاور في نصوصه ثيمات الفقر، والحب، والأسئلة الوجودية، والتحديات الثقافية والاجتماعية.

وفي «حوارات في عوالم الكلمة والإبداع»، لا يقدّم المؤلف حوارات تقليدية، بل يفتح فضاءً تأمليًا يكشف عن خلفيات التجربة الإبداعية، وعلاقة الكاتب بالكلمة بوصفها فعلًا معرفيًا وموقفًا من العالم. ويستند الكتاب إلى وعيٍ ثقافي تشكّل عبر تجربة حياتية ومهنية متنوّعة، إذ عمل المؤلف في مهن مختلفة، من الصحافة والتعليم إلى مهن يومية بسيطة، وهو ما

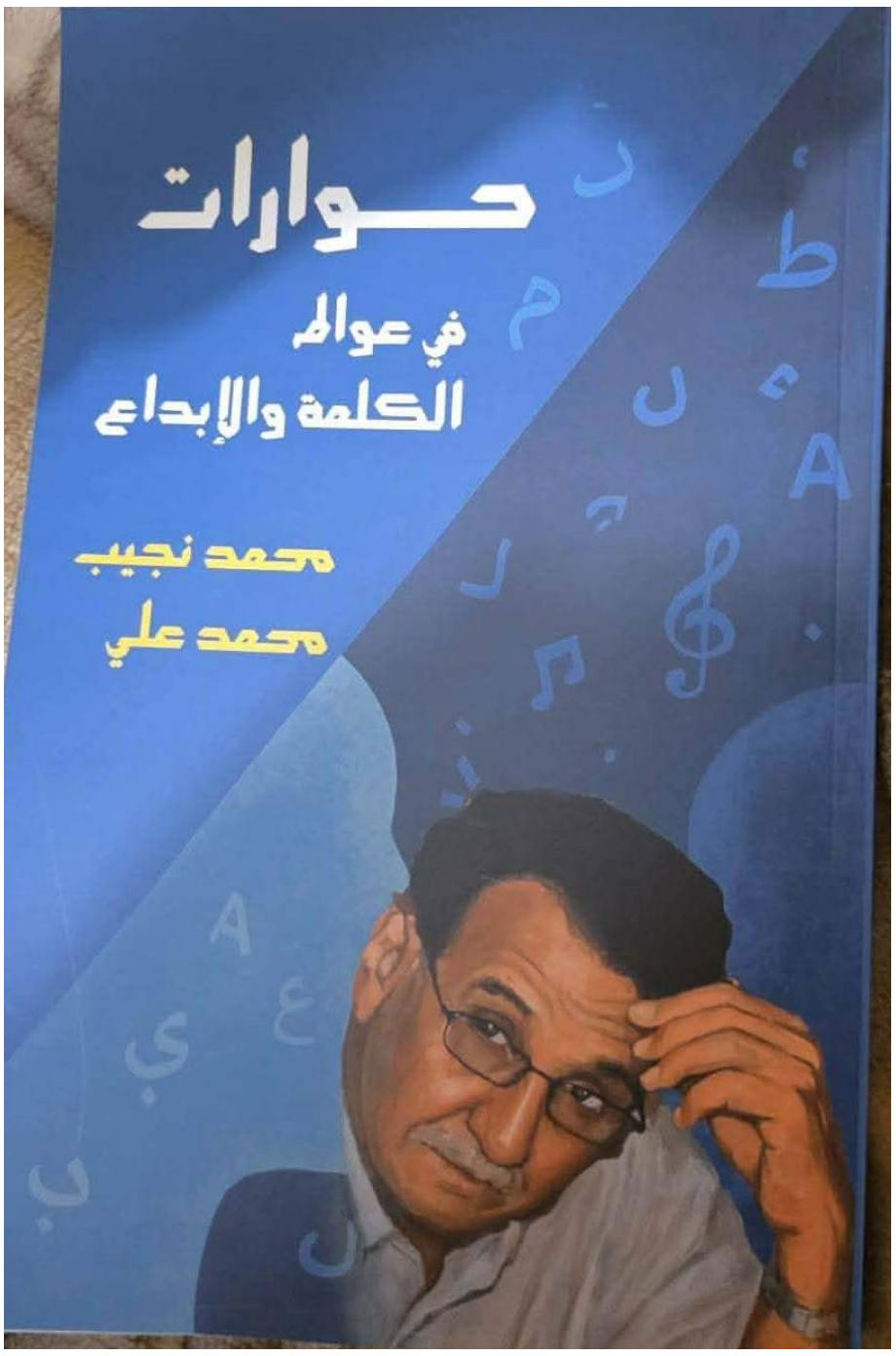

منحه تماسًا مباشرًا مع الناس وهمومهم، وانعكس بوضوح في رؤيته الإبداعية وخطابه الثقافي.

الكتاب يهمّ القرّاء والباحثين في الأدب والنقد، كما يقدّم مادة غنيّة للمهتمين بالحوار الثقافي بوصفه أداة لفهم الإبداع وسياقاته. وبهذا الإصدار، يرسّخ محمد نجيب محمد علي حضوره كصوت شعري وثقافي يرى في الكلمة فعل مقاومة وبناء، وفي الحوار جسرًا لفهم الذات والواقع معًا.

«المكان والسكان في قرى بني كنانة»...
إصدار توثيقي جديد
يكشف موروث المنطقة وهويتها الاجتماعية

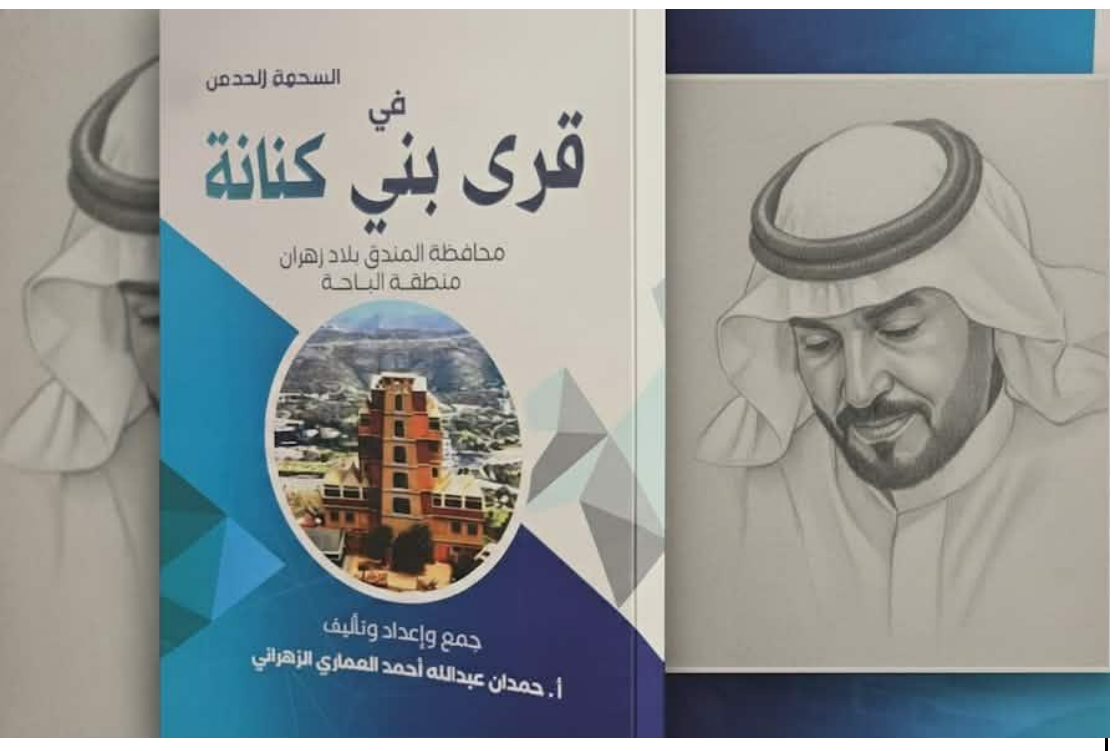

وطني . الرياض

أصدر الباحث أ. حمدان عبدالله أحمد العماري الزهراني كتابا توثيقيًا جديدا يحمل عنوان «المكان والسكان والحياة الاجتماعية في قرى بني كنانة»، الذي يسعى من خلاله إلى حفظ موروث القرى التابعة لبني كنانة في منطقة الباحة – بلاد زهران – محافظة المندق، وتقديم صورة دقيقة عن تاريخها الاجتماعي والثقافي.

وأكد المؤلف في تصريح له حول الدافع وراء الإصدار قائلاً:

«هذا الإصدار قمت بتأليفه ليس من باب العنصرية القبلية أو ما شابه ذلك، ولكنه توثيق للأجيال القادمة لموروث هذه القرى. وبسبب انتشار مسمى بني كنانة في عدة أماكن داخل الجزيرة العربية وخارجها، رغبتُ في تحديد موقع هذه القبيلة والتعريف بقرى منطقتها في الباحة تحديدًا».

ويضم الكتاب مجموعة من الموضوعات المحورية، من أهمها:

سيرة أول شيخ للقبيلة وكيفية اختياره عبر الأعراف القديمة.

التقسيم العرفي السروي والتهامي وما يعكسه من تنوع بيئي وثقافي بين قرى الجبال وقرى السهول.

النسيج الاجتماعي لكل قرية والروابط التي تجمع الأسر والعشائر فيها.

العادات والتقاليد والأمثال والكلمات الدارجة التي تشكل هوية المجتمع المحلي.

دراسة مقارنة بين الماضي والحاضر ترصد التطور العمراني وملامح النهضة الحديثة.

عرض لأهم الخدمات والتنمية التي حظي بها أبناء القبيلة منذ تأسيس الدولة السعودية وحتى عهد خادم الحرمين الشريفين الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود – حفظه الله.

ويأتي هذا الكتاب كمرجع توثيقي مهم يثري المكتبة السعودية و العربية، ويُعد إضافة نوعية للباحثين والمهتمين بتاريخ قرى بني كنانة وهويتها الاجتماعية ضمن نسيج منطقة الباحة وبلاد زهران.

منظومة التعليم وصناعة الوعي

آليات إعادة إنتاج الوعي المُقَنّن

الإعلام، الخطاب الديني، و الدولة : تفكيك السرديات المتحالفة

« الحلقة الثانية »

إعداد : فريق قضية العدد

سلوى والي | أيمن دراوشة | محمد عفيفي | فدوى كدور | حسن غريب أحمد | سهام جبريل | فاروق بوتمجت | سماحة حسون

▪ بعدما شخّصت الحلقة الأولى جذور أزمة الوعي في التعليم ومآلاتها النفسية والاقتصادية، تنتقل هذه الحلقة إلى تفكيك الآليات والمؤسسات التي تعمل يوميًا على إعادة إنتاج هذا الوعي المُقنّن والمُصادَر. فنحن لا نواجه خللًا عشوائيًا، بل منظومة متكاملة من الخطابات والممارسات المتحالفة، التي تحمي بعضها بعضًا، وتحوّل كسرها إلى عملية شاقة ومعقّدة.

المحور الأول: السرديات المتحالفة كمصانع للوعي

يرى التحليل أن صعوبة تفكيك الوعي العربي لا تكمن في سردية واحدة، بل في تحالف أيديولوجي تُشرعِن فيه كل سردية الأخرى، مشكِّلة ما تصفه الباحثة سلوى إدريس والي بـ«منظومة إيكولوجية» للوعي، يحمي كل عنصر فيها الآخر، ويعيد إنتاجه باستمرار.

1. أركان التحالف الأيديولوجي

السردية الدينية والاجتماعية

يتحوّل الدين، في هذا السياق، من منظومة قيمية وأخلاقية حيّة إلى «علامة انتماء جماعي»، لا يُقاس فيها الإيمان بالتحول الداخلي، بل بالامتثال الشكلي (سلوى إدريس والي). ويتكامل هذا التحول مع خطاب ديني ثابت يرفض التجديد والاجتهاد، ويُنتج أنماطًا من التعصب والانغلاق الفكري (أيمن دراوشة).

أما السردية الاجتماعية المحافظة، فتحوّل «العيب» و«ما سيقوله الناس» إلى نظام معرفي كامل، يصبح فيه الخوف من فقدان «الأصالة» أقوى من البحث عن الحقيقة أو الصواب.

السردية القومية البطولية

تُقرأ التاريخ كملحمة متصلة بلا انكسارات، وتُنتج تاريخًا بلا تاريخية، حيث يتحول الماضي إلى معيار مطلق للحكم على الحاضر، ويُختزل البشر إلى أبطال أو خونة، لا إلى كائنات إنسانية ضعيفة ومعقّدة (سلوى ادريسي والي).

وعي الندرة

يدعم هذا التحالف وعيًا اقتصاديًا قائمًا على منطق الصراع الصفري: «إذا ربحتَ أنت، خسرتُ أنا». هذا الوعي يُضعف الثقة، ويعيق المشاريع الجماعية، ويُشرعن الفساد بوصفه وسيلة للبقاء لا انحرافًا أخلاقيًا (سلوى ادريسي والي، د. محمد إبراهيم عفيفي).

2. الرقابة الاجتماعية والسلطة الداخلية

في ظل هذا التحالف، لا تعود السلطة الخارجية هي الأداة الأهم للضبط، بل تتحول البنية الاجتماعية ذاتها إلى جهاز رقابي داخلي.

الجملة البسيطة: «ماذا سيقول عنا الناس؟» تختزل سلطة غير مرئية، لكنها أشد فاعلية من القانون، إذ يستبطن كل فرد «شرطيه الخاص» الذي يضمن الامتثال للسرديات السائدة دون حاجة إلى قمع مباشر (سلوى ادريسي والي).

المحور الثاني: الإعلام وقوة الجهل الاستراتيجية

إلى جانب الخطاب الديني والاجتماعي، يلعب الإعلام دورًا محوريًا في إعادة إنتاج هذا الوعي، لا عبر الكذب الصريح فقط، بل عبر التفاهة، والاختزال، والإشباع السريع.

1. الرباعية السحرية للإعلام

يقدّم الإعلام، بوصفه «اللاعب الأكبر» في صناعة الوعي (د. محمد إبراهيم عفيفي)، أربع ركائز تُعفي

الجميع من المسؤولية وتُبقي الفرد في موقع المتلقي السلبي (سلوى ادريسي والي):

الزعيم المخلّص: الحل يأتي دائمًا من فوق.

الشعب الضحية: لا مسؤولية فردية عمّا يحدث.

العدو المؤامِر: تفسير جاهز لكل فشل.

الحل السحري: لا حاجة لمسار طويل أو جهد تراكمي.

تُنتج هذه الرباعية فردًا ينتظر ولا يبادر، ويستهلك السرديات بدل أن يصنع الواقع.

2. مصانع الأحكام المتسرعة والقلق المعرفي

في العصر الرقمي، تتفاقم الأزمة، حيث تتحول المنصات الرقمية إلى «مصانع يومية لإنتاج أحكام متسرعة» لا تعبر العتبة الأولى للفهم (فدوى گدور).

ويتزامن ذلك مع قلق معرفي مزمن ناتج عن فقدان «أفق التوقع» وتآكل اليقين (حسن غريب أحمد)، ما يجعل العقل أكثر استعدادًا لاعتناق اليقينيات الزائفة، تلبيةً لحاجته إلى الإغلاق المعرفي.

3. الجهل كقوة استراتيجية

تلفت سهام جبريل إلى أن الجهل لا ينبغي قراءته كنقص معرفي فحسب، بل كـ«قوة واقعية» تُستثمر بوعي داخل منظومات السلطة.

فالجهل هنا جهلٌ مُنتَج، يتغذى من الإعلام والدعاية، ويُعاد تدويره ليُبقي المجتمع في حالة تبعية ذهنية، عاجزًا عن مساءلة الواقع أو تفكيك خطابه.

المحور الثالث: الدولة، الأداء المؤسسي، وتآكل الثقة

يضيف بحث الأستاذ فاروق بوتمجت (الجزائر) بعدًا مؤسسيًا حاسمًا إلى هذا التفكيك، حيث يربط بين الوعي المُقنَّن وبين أداء الدولة ومؤسساتها.

ففي كثير من السياقات العربية، أصاب الأداء الإداري الجمود، وغابت الرؤية، وحلّت القرارات الارتجالية محل التخطيط. ضعف الرقابة والمحاسبة، وتفشّت البيروقراطية، فتآكلت ثقة المواطن في المؤسسات، وتحوّل الشأن العام إلى مجال منفصل عن حياته اليومية.

ومع هذا التآكل، تتراجع قيمة الكفاءة لصالح المحسوبية، وتضعف الإنتاجية، ويغدو العمل وظيفةً للرزق لا مسؤوليةً اجتماعية. هنا لا يُعاد إنتاج الوعي المُقنَّن عبر الخطاب فقط، بل عبر الممارسة اليومية التي تُكافئ الرداءة وتُعاقب الجدية.

المحور الرابع: الغش، القلق، وانكسار المعنى

يشير البحث كذلك إلى انتشار الغش بوصفه سلوكًا عاديًا في التعليم والعمل والمعاملات. هذا الغش لا يدمّر النزاهة فحسب، بل يزرع وعيًا يرى أن الالتفاف على القواعد أذكى من الالتزام بها، وأن **shortcuts** أهم من الجهد الحقيقي.

ومن زاوية وجدانية، يلتقط الشاعر سماحة حسون (فلسطين) هذا الانكسار من الداخل، حيث يصوّر الوعي العربي كمرايا متكسّرة، الحقيقة فيها موجودة، لكن الضوء مشوّه.

التعليم يُراكم المعرفة دون إحساس، الثقة تتآكل، والإنسان مثقل بحاضر ضاغط (فقر، بطالة، غلاء)، فتتحول الحياة إلى صراع للبقاء، لا فضاء للتأمل والمعنى.

المحور الخامس: الوعي المُصادَر والحاجة إلى الإيقاظ

المفارقة، كما تشير سلوى إدريس والي، أن الوعي العربي ليس هاربًا من الحاضر، بل مثقل بـ«الآن»:

الآن البطالة، الآن القمع، الآن الغلاء.

لكن هذا الحاضر مُستنزَف ومُصادَر ومُجهَض، وكل طاقته تذهب للبقاء لا للبناء.

وهنا يلتقي التحليل البنيوي مع الصوت الوجداني: فالوعي الحقيقي لا يبدأ بتغيير الخطاب فقط، بل بإيقاظ الإنسان من الداخل، باستعادة القدرة على السؤال، وعلى الإحساس، وعلى تحويل القلق إلى وعي، واليومي إلى مشروع.

خاتمة الحلقة الثانية

تكشف هذه الحلقة أن الوعي المُقنَّن ليس نتاج عامل واحد، بل نتيجة تحالف معقّد بين السرديات الدينية والاجتماعية، والإعلام، والأداء المؤسسي، وانهيار منظومة القيم.

غير أن هذا التحالف، رغم قوته، ليس قدرًا محتومًا. فاستعادة الوعي تبدأ حين يتحول «الآن المُصادَر» إلى زمن تأسيسي، وحين ينتقل الإنسان من منطق النجاة اليومية إلى أفق البناء والمسؤولية.

في الحلقة القادمة:

سننتقل إلى سؤال التحول الداخلي، ومسارات استعادة الإرادة، وكيف يمكن تفكيك هذا الوعي المُقنَّن من الداخل، وبناء عقل نقدي قادر على تحويل المعرفة إلى فعل، والحاضر إلى مشروع.

طوفان الأقصى

- حين يتمزق الجسد ، من يداوي العالم الإسلامي؟!
- شمعون الصفا
- خيام بلاء دفء أطفال ونساء السودان في وجه الحرب
- توقيع على صفحة الذاكرة..
- موسم شواء حرف بين يدي غزة
- حرب لا تنام

اللوحة للفنان الأردني . عمر بدور

حين يتمزق الجسد ...

من يداوي العالم الإسلامي؟!

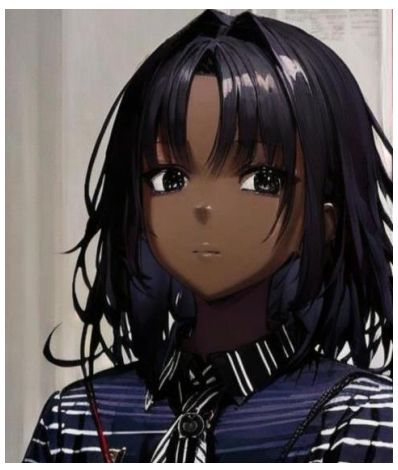

عائشة محمد ادم
قاصة. كاتبة. السودان

كأننا نخاطب التاريخ بألمٍ جديد حين نقول:
تمزق العالم الإسلامي.
مشاهد الدم، وصور الخراب، وأخبار الموت التي لا تنقطع، لم تعد استثناءً، بل صارت جزءًا مؤلمًا من يوميات أمةٍ كان يُفترض أن تكون شاهدةً على العدل، لا غارقة في الفتن.
تتابعت الأحداث، وتكاثرت الجراح، حتى ضاعت الأمانة التي حُمِّلنا إياها؛
أمانة القيم قبل الشعارات، وأمانة الوحدة قبل المصالح.
فغدا الإسلام غريبًا في سلوك أبنائه، لا في جوهره، كما بدأ غريبًا يومًا، لكنه كان يومها غربةَ قوةٍ، لا غربةَ ضعف.
ضعفت وحدتنا، فضعف موقفنا، ودُفع الأبرياء ثمنًا لصراعات لا ذنب لهم فيها.
مات الأطفال، والنساء، والشيوخ، وسُفكت دماء لم تجد من يحميها، ولا من يسأل عنها بصدق.
وفي عالمٍ انقلبت فيه الموازين، بات العزيز ذليلًا، واحتُلت الأوطان، وشُرِّد أهلها، بينما انشغل كثيرون بصغائر الأمور، ونسوا عِظم المسؤولية.

لسنا أمة فقيرة في الموارد، ولا عاجزة عن النهوض، لكننا أمةٌ أنهكها التفرق، وأضعفها البُعد عن جوهر الدين الذي جاء ليجمع لا ليُفرّق، وليقيم العدل لا ليبرر الظلم.
ابتعدنا عن القيم التي حارب من أجلها النبي ﷺ، ففقدنا البوصلة، وضاعت الأولويات، وغلبت المظاهر على المعاني.
إن السؤال الحقيقي ليس: متى ينتصر الحق؟
بل: متى نكون أهلًا لنصرته؟
فالنصر لا يُمنح لأمةٍ ممزقة، ولا لعقولٍ متخاصمة، ولا لقلوبٍ قاسيةً.
العزة لا تعود بالخطب، بل بالوعي، ولا بالشعارات، بل بالإصلاح، بدءًا من الإنسان، وانتهاءً بالأوطان.
العالم الإسلامي اليوم في حاجةٍ إلى وقفة صدق، نراجع فيها أنفسنا، ونعترف بأخطائنا، وندرك أن الالتئام لا يبدأ من الخارج، بل من الداخل؛
من إعادة بناء الوعي، وإحياء قيمة الوحدة، والعودة إلى دينٍ يصنع الإنسان قبل أن يرفع الرايات.
قد تمزق الجسد، لكن الأمل لم يمت.
فالأمم لا تنهض دفعةً واحدة، بل بخطوات صادقة، وحين نؤمن أن وحدتنا قدرٌ لا خيار، يمكن حينها أن يبدأ الالتئام، وتعود للأمة عافيتها، وللحق كلمته، وللعزة معناها.

شمعون الصفا

ريم البياتي
شاعرة . كاتبة . سوريا

إلى أبطال معركة شمعون الصفا الأسطورية في جنوب لبنان، الذين صمدوا ببطولة نادرة رغم قلة عددهم، وقتلوا مجموعة من الصهاينة ومعهم عالم الآثار الشهير
إلى روح الشهيدين أحمد فخر الدين و عبد الكريم ضاهر
إلى شهداء المقاومة الذين تزين صورهم جدران شارع طويل في برج البراجنة
وإلى كل مقاوم حر

شمعون الصفا

أيا بيروت كان
يجرّني المنفى
وخيط العمر راح
يعيد تكويني
ككوز صنوبرٍ
راحت تدحرجه
رياح القهر
يحضنه
ويركض ثلج صنين
فيكبر كوز آلامي
ويفغر فاهه سيزيف
يلقي الصخرة
الصماء في عجل،
يلاقيني.

***
أيا بيروت
كنت غريبة أمشي
على طرقات ثلجك
تلسع القدمين، لكني
أسيرْ
تبدو وجوه العابرين
ضريرةً
جرداء عاث الصيف
فيها
واستفاق على
شبابيك العيون
خريفها
لكنها كانت تسيرْ
مثلي أنا كانت تسيرْ
تتدافع الأقدام فوق
رصيفك العاري
وترتفع العيون
الخامدات إلى الجدار
حيث الحياة تدبّ في
الصور التي
تعبت تراقب خطوة
الموتى
وتهرب
من شفاه الصامتين
حكايةٌ
تبتلّ فيها دقائق
الأيام
والأعمار قمصانٌ
معلقة
تنزاح من أكمامها
الحمراء أسئلة
أما للموت أغنيةٌ
وهل للحب ميزانٌ
وهل يستيقظ
الشهداءُ

بعد العصرِ
يفترشون حين ينام
أهل البرجِ
راياتٍ
أبتْ أن تنفض
الذكرى
وحزني العابر
المنسيَّ فوق جباههم
فكرة
وهل يأتون إذ
تتثاءب الصخرةْ
ويأفل موكب العشاق
في الحمرا
فيغدو الموج حوريةً
تمدّ الخطو نحو
رصيفك الخاوي
تصافحهم
وترفع صوتها
لتبارك الأسماءَ
صوت الموج أغنيةٌ
تعيد لبدلة الخاكي
فخامتها
فيرتد الصدى صوراً
تغادر سورها العالي
تعانق ماءك المالحْ
ويخبو وجهك الكالحْ
هنا لا شيء غير
الليل
والأمواج
والصور التي نزلت
عن الجدران
ألقت بزّة الخاكي
وعادوا مثلما كانوا
أراهم يشعلون الليل
أعراساً
ومثل الشمس حين
تمد غرتها
يمدّون الحكايات
لتوقظ من سباتِ طال
شباكاً
على أهدابه نامت
فساتين الحبيباتِ

يا لله
كيف يكون وجه
الفجر معجوناً
بملح البحر
والشهداء
ما أبهاك يا بيروت
حين ينام كل الناس
إلا الموج
يحضن سرّهم
ويذوب في صمتٍ مع
الصور
وحين الليل يفقد
صبره الموعود
يغفو الموج

ترحل نحو وحدتها
إلى الجدران آلافٌ
من الصورِ
***
أيا بيروت
يا امرأة تبيع الوهم
يفترس الظلام المرّ
صخرتها
فيغدو البحر قرصاناً
ويمتدّ الطريق بنا
أنا ومحمد العربي
نحو صوامع الرهبان
حيث الدهر معتكفاً
على شرفات شمعون
الصفا، يروي
ملاحمهم
وتحصي الريح
أنفاس الرجال
الرابضين هناك
بين ضريحه والباب
بين القوس
والمحراب
يحكي الفجر عن
سجادة ظلت تقبّل
موضع السجدات
تحفظ آية الفتح
وتحضن عطر أرواح
أبت أن يلفظ الشباك
أنفاس الوداع
قُبيل أن يقضوا
فظلوا يمسكون
الوقت
واحتار المكان بهم
إذ انصهرت وجوه
القائمين هناك
حين يُدار كأس
الموت
صاروا كلهم أحمد*
وبات الموت
مضطرباً
يحار بفتية هرعوا

كأن سُقاهُ غايتهم
رآهم ينظرون إلى
السهول
ويقسمون على
بنادقهم
يميناً إنه الأوحدْ
وأصغوا، يسمعون
الوالدات هناك خلف
الصمت
يصرخنَ
بُنيّ، اليوم عاد
الطفّ، فلتصمدْ
وهذا حسين عند
الباب
يعرفكم، ويحرسكم
يمدّ يديه يحملكم
وذا صوت الرضى
يصدحْ
ورب البيت فاز اليوم
بيعكمُ
***
رنا عبدٌ إلى الوديان
نحو سهول قريته
هنا وقفت حبيبته
وجدته
وعند الباب كان
الضبع ينتظرُ
ليكتب سطره القدرُ
لذا، وقفوا أمام الباب
كلهم، فذا يقصف،
وذا يزأرْ
وذاك يلم أطراف
الدُنى في قبضة تكبرْ
تماهوا مع حدود
السفح والوديان
طاروا فوق أجنحة
الرصاص
يقبّلون التين
والزيتون
ثم تعود تحملهم
إلى محراب شمعون
الصفا سحبٌ
ترتّلُ آية الكوثرْ
فغار الضبع تسحبه،
بقايا حلمه الأبترْ.
**
وظلّ اثنان عند الباب
يفترشان تابوت
الحكايات
غفا أحمد كسيف
عليّ في المحراب
في حدّيه تلمع آية
النصر
وعبدٌ صار عند
القوس ناقوساً
إذا عادوا؛ يدقّ
فيوقظ الحراس من
اغفاءة الصبر

***
أيا بيروت
كم تتساقط الأسماء
من كفيك
يا وجع البنادق
والخنادق
والرجالْ
يا نكبة الترقيم لا
ندري أتُرفع أم تُضمْ
أم تكسرين قواعد
الإعراب
تختلط الجهات
ويسقط الإفصاح في
البئر الأصمْ.

خيام بلاء دفء

أطفال ونساء السودان في وجه الحرب

حكمات أحمد الياس

أستاذة التربية بالتعليم قبل المدرسي . السودان

الأطفال لا ظلّ
لا راعي
والميّتين
يا حليل الناعي
التايهين في الصحراء تتداعى
الله يزيل
الكان الداعي .

في هذه الأبيات التي كتبها الشاعر قاسم أبو زيد، وغنّتها الفنانة نانسي عجاج، تتجلى هشاشة الأطفال في السودان، حيث يقفون بلا ظل يحميهم ولا راعٍ يهتم بهم، وكأنهم تائهون في صحراء الحياة القاسية. في قلب الحرب والبرد القارس تتلاشى براءتهم، وتطفو الأسئلة الفلسفية الكبرى: كيف يمكن للإنسانية أن تصمد أمام القسوة؟ وكيف يمكن للأمل أن يزدهر في قلب الظلام؟ تذكّرنا هذه الكلمات بأن حماية الطفولة ورعايتها ليست خيارًا، بل واجبًا أخلاقيًا وحقًا أصيلًا لكل طفل.

في المساحات التي تتحول فيها الأرض إلى امتداد مفتوح من العراء، وفي المخيمات التي تُقام على عجل كاعتذار متأخر عن خذلان قديم، يقف أطفال السودان، إلى جانب كبار السن والنساء، في مواجهة حقيقة أكبر من أعمارهم بسنوات لا يمكن عدّها. هناك، حيث يلتقي البرد بالتراب ويصبح الهواء نفسه شاهدًا على ما يُرتكب.

تتحرك الأقدام الصغيرة والمتعبة في آن واحد بين الخيام، كأنها تحاول تلمّس حدود العالم للمرة الأولى. عالم بلا جدران ولا يقين، يُعاد فيه صياغة معنى الوجود عبر ضوء ضعيف يتشبث بالبقاء فوق وجوه ارتجفت كثيرًا ولم تنكسر.

تجربة النزوح ليست مجرد حركة اضطرارية تغيّر الجغرافيا المكانية؛ إنها عملية قسرية لإعادة تشكيل الوعي. فالطفل الذي يُنتزع من بيته، ومن زقاق يعرف كل حجر فيه، يُلقى فجأة في فضاء لا هوية له فيه ولا ذاكرة. كما يُجبر الرجل المسن على ترك ذكريات العمر في حجر المنزل القديم، وتُدفع المرأة إلى مواجهة مخاوف تتجاوز خوفها الشخصي لتصبح خوفًا على الجميع. المخيمات لا تمنحهم بديلًا، بل اختبارًا مبكرًا للفراغ؛ الفراغ الذي يحاول ابتلاع ثقتهم بالعالم. لا الجدران ثابتة، ولا الليل آمن، ولا النوم وعدٌ بالطمأنينة. كل شيء يأتي مشروطًا بالخسارة، وكل خطوة مشحونة بإدراك مبكر بأن الحياة يمكن أن تُنتزع فجأة، وأن الحماية ليست قانونًا طبيعيًا، بل امتيازًا توقّف عن أن يكون متاحًا لهم.

البرد الذي يلفّ الخيام ليس طقسًا عابرًا، بل قوة تضغط على الروح قبل الجسد، كأنه يختبر مدى احتمال الإنسان عندما يُجرَّد من كل ما كان يظنه ثابتًا. الأطفال يدفنون أيديهم في التراب بحثًا عن حرارة ضائعة، وكبار السن يحاولون تذكّر دفء الماضي وحكايات الحياة قبل الحرب، والنساء يحملن في أذرعهن عبء الحماية والإطعام والعناية، كل ذلك في آن واحد. ومع ذلك، في هذا الارتجاف نفسه ما يشبه إعلانًا غير مرئي عن إرادة لا يمكن إخمادها؛ إرادة تصرّ على أن الضعف ليس نهاية المعنى، بل بدايته.

الحرب التي أرغمتهم على النزوح لا تنتهي بانتهاء إطلاق النار؛ إنها تعيد تشكيل الوعي مثل نهر يعيد نحت مجراه القديم. الأطفال الذين غادروا المدارس، وكبار السن الذين فقدوا مساكنهم، والنساء اللواتي تشتّتت أسرهن، أصبحن مضطرات إلى إنشاء مدرسة جديدة داخلهم: مدرسة السؤال. لماذا يفقد بعض البشر كل شيء بينما ينعم آخرون بالأمان؟ لماذا يصبح البيت حلمًا بعيدًا، بينما يغدو المخيم واقعًا لا يمكن القفز فوقه؟ هذه الأسئلة لا تجد إجابة، لكنها تكشف أن كل من عاش التجربة أصبح شاهدًا على خلل قائم في بنية العالم نفسها.

المخيمات ليست مجرد مساكن مؤقتة، بل فضاءات تُختبر فيها حدود الإنسانية. صفوف طويلة من الخيام المتلاصقة تجعل الزمن يبدو بلا ترتيب؛ النهار يشبه الليل، والليلة الباردة تشبه التي تليها، والحاضر لا يحمل وعدًا واضحًا بمستقبل يتجاوز الجوع والمرض والانتظار. في قلب هذا الركود القاسي، يقف الأطفال وكبار السن والنساء في (التكايا) وطوابير الطعام بوجوه لا تُظهر استسلامًا، بل مزيجًا من التحدي الصامت والخوف المكبوت وإصرارًا غريزيًا على استعادة ما سُلب منهم، ولو عبر مجرد القدرة على الوقوف.

أطفال السودان وكبار السن والنساء في المخيمات ليسوا ظلالًا على أطراف الحرب، بل مركز الثقل الأخلاقي لكل هذا الخراب. بينما يتحرك الكبار تحت وطأة الذاكرة والخيبة والسياسة، يحمل الصغار والنساء وكبار السن وزنًا من نوع آخر: وزن المستقبل، وزن الحياة، وزن الإنسانية. في نظراتهم المنكسرة ولكن الحادّة يظهر ادعاء خفي بأن العالم لم يُخلق ليكون ساحة حرب دائمة، بل امتدادًا للطمأنينة التي حُرموا منها.

الحقيقة التي تكشفها المخيمات ليست حقيقة الحرب وحدها، بل حقيقة الإنسان عندما يواجه انكشافه الكامل. الأطفال وكبار السن والنساء الذين فقدوا البيوت والشوارع والدفء والأمان، ولم يفقدوا القدرة على البحث عن الضوء، يُجبرون الجميع على إعادة النظر في معنى المسؤولية. السؤال ليس أن نساعدهم أو لا نساعدهم، بل كيف نسمح لأنفسنا بأن نواصل العيش بينما تتسع هذه الخيام يومًا بعد يوم، كأنها تعيد رسم خريطة الروح البشرية في اتجاه أكثر قسوة.

معاناة الأطفال والنساء وكبار السن ليست استثناءً من الحرب، بل دليل قاطع على أن الحرب ليست مجرد صراع على السلطة، بل صراع على روح العالم نفسه. كل خيمة تُنصب لطفل بردان، وكل عين تحدّق في الظلام طلبًا لطمأنينة غائبة، وكل يد تمتد لتوفير غطاء أو طعام، هي مرآة تُجبر الإنسان على مواجهة السؤال الأكثر إلحاحًا: هل يمكن للإنسانية أن تدّعي وجودها بينما يُترك هؤلاء وحدهم في وجه الريح؟

وهكذا يصبح هؤلاء الصغار وكبار السن والنساء، الذين تتسع خطواتهم في الأرض الضيقة، صوتًا لا يتكلم لكنه يهزّ أسس الصمت. يذكّرون الجميع بأن المعنى لا يولد في الدعة، بل يولد في أكثر اللحظات قسوة، وأن المستقبل، مهما تلطخت طرقه بالدم والبرد، لا يزال يجد طريقه عبر وجوه تنهض رغم كل ما يجري حولها.

توقيعٌ على صفحة الذاكرة..

زينب نعمة مروة
كاتبة. قاصة. لبنان

أذكر أنّني غفوت بالأمس بصعوبة، هذا ليس غريبًا عنّا نحن البشر، فما إن نتمدّد على السرير حتى تهبط الأفكار إلى الرؤوس في عمليّة نزوح جماعيّ، فتتصارع لتجد مكانًا فارغًا ترتاح فيه من ارتحال النهار.

نقضي الوقت في البحث عن فراش مناسب لحجم كلّ فكرة، واسترضاء ذوقها الصعب في اختيار الوسادة الملائمة، ومزاجها المتقلّب الذي يُجبرنا أن نواسيها قليلًا لتهدأ وتقبل أن تنام على ما تبقّى لدينا من أسِرَّةٍ مُترنّحة، أو زوايا تصلح لافتراشها..

استيقظتُ على صوت مزعج صدر من الهاتف، كان بجانبي، طرقت عليه لأخرسه لكنّه أكمل النعيق، اعتقدت أنّها فكرة من أفكار الأمس هبطت متأخرة بعد أن أغلقتُ أبواب دماغي فقضت الليل تتلكّأ بين تطبيقات الهاتف إلى أن أصابها الجنون ممّا شاهدته فيها..

لكن سرعان ما اكتشفتُ أنّه صياح المنبّه الذي لا أذكر أنّني ضبطتُه.. وعلى ما يبدو أنّني لم أعد أذكر شيئًا عنّي سوى أنّني غفوت بصعوبة، وها أنا أستيقظ من دون ذاكرة!

يبدو أنّ الأفكار لا جلادة لها اليوم على الاستيقاظ.

لا مشكلة عندي مطلقًا، فاليوم بحسب شاشة الهاتف هو الأحد، يعني المفترض أنّه يوم عطلة، لعلّها فرصة أن أرتاح فيها من العمل والأفكار والذاكرة والخوف والترقّب معًا.

خرجتُ إلى الشرفة وفي نيّتي اكتشاف شعور التسكّع على رصيف الصباح..

خرجت.. ولم أجد الصباح..

سرقت هدوءَه ونقاءَه واطمئنانَه مُسَيّرات خبيثة، راحت تعبث فوق رأسي وترسم دوائر متداخلة من دخانٍ ذكّرني أنّ هذا المحتلّ هو الشرّ المطلق. سيبقى متربّصًا بأرواح كلّ الذين يرفضون الخضوع لجشعه، جاثمًا على أنفاسهم وصباحاتهم وأحلامهم.. إلى أن تستيقظ البشريّة من سكرة التضليل.

موسم شواء
حرف بين يدي غزة

صادق أمين
كاتب . شاعر . قاص . اليمن

كلما أمعنت القنابل بقضم
الأرض
الإنسان
شوائهم
معا
بكل آن
الوجبة تحملها
الغيمة
كل ساعة
القاتل نهم
يحتسي الدم
كل ساعة
و في القريب يحمل
بعض الأشلاء
هو
على موعد
مع شواء
حين ساعة
يتطاير غبار
غزة
مخلوطا
بلحم و دم
بالعزة
تمر الغيمة
كل ساعة
على قرى
العرب
ديارهم
قصورهم
يا ما يكفي
منها
علق
على خيمة
جيوشهم
الريح يدفع الغبار
كل ساعة
إلى شرفات
العرب و العجم
كل ساعة
و الارقام
بالألوان
كل ساعة
يمر
عطر الشهداء
على الأنوف
كثر يشتمون
الشواء
و يدركون
القضية
و كثر مزكومون
لا يميزون الرائحة
الزكية
كم ساعة
يلزم الجميع
ليدركوا أن القاتل
لن يشبع
أن القاتل ابشع
العربي
اشجع
إن ذهب
سيرجع
و في الأوان

حرب لا تنام

بتول الشريف
كاتبة . قاصة
سودانية مقيمة في مصر

خُلِقَ الإنسانُ من ترابٍ سُقِيَ بالنقاء والطهر، فنبتت منه حياةٌ خرجت من العدم؛ خَلْقٌ جديد يحمل حقوقه التي وهبها الله له: حقَّ الوجود، وحقَّ العيش بكرامة، وحقَّ الانتماء إلى الأرض التي وُلِدَ فيها. وله، مع أبناء شعبه المخلوقين من ذات الجنس البشري، الحقوقُ نفسها، وعلى رأسها حقُّ البقاء في أرضه، لا يُنتزع منه إلا إذا أذن الله له بالرحيل، لا بإجبارِ أحد.

ولكن السؤال الذي يدور في ذهني: هل كان تكبُّرُ إبليس واعتراضُه على خَلْق الإنسان هو الشرارةَ الأولى التي ولَّدت فكرةَ الكراهية والانتقام؟ ثم، مع تعدُّد البشر وتنوُّع طباعهم وسيطرة إبليس على عقول البعض، ظهر القتلُ وإزهاقُ الأرواح. ومع تواتر الجرائم وتقبُّلها، بدأت قيمةُ الإنسان تتناقص في سوق الحياة، وتجاوز القتلةُ العهودَ والمواثيقَ التي اتفقت عليها الدياناتُ السماوية، المُحرِّمة للقتل، والمُحرِّمةُ للاعتداء على الروح.

وربما بدأت فكرةُ الحرب من هنا؛ خطوةٌ صغيرةٌ تجاوز بها إبليس إرادةَ الله وما فُرِضَ عليه من المولى عزَّ وجل. ومع الزمن تماهت هذه الخطوةُ، وكبرت، حتى قاد إبليس جحافلَ من البشر، ليجعلهم أداةً لإبادة روحٍ خُلِقَت في الأزل، روحٍ رفضت أن تخضع لغروره وتكبُّره.

وتتراءى لي الحياةُ أحيانًا كما لو أنّها كان يمكن أن تمضي بلا تجاوزٍ على أرواحٍ حصَّنها الله بالأوامر الصارمة التي تُبيّن قيمةَ النَّفس البشرية. أتخيَّل العالم لو لم يُقتَل فيه أحد؛ حياةً بلا دماءٍ مهدورة، نموت فيها حين يريد الله لنا الرحيل، ممدَّدين على فراشنا، محاطين بأهلنا، وقد كتبنا وصايانا الأخيرة بطمأنينة.

وحتى من ضاعت أرواحُهم بسبب خطأٍ غير مقصود، لم يكن ذلك عن قصدٍ لإنهاء حياة إنسان من أجل أمرٍ دنيويٍّ تافه؛ تلك أقدار: حادثُ سيارة، غرق، حريق، سقوط... كلُّها نهاياتٌ لا تحمل نيّةَ الاعتداء.

لكن يأتي سليلُ إبليس ليحوّل الصدفةَ إلى جريمة، والقدرَ إلى قتلٍ مُدبَّرٍ مع سبق الإصرار والترصُّد. وتتَّسع الدائرة، وتكبر الصراعات، وتتنوَّع الوسائل، حتى صار الموت ينتقل من طعنةٍ بسيطة إلى رصاصٍ وراجماتٍ ودبّاباتٍ وصواريخ.

كلُّ ذلك فقط من أجل إنهاء نفسٍ بسيطة؛ نفسٍ ربما كانت كلمةٌ واحدةٌ كافيةً لقتلها من هول الحياة وما رآه المستضعفون في الأرض، فلم يكن يستدعي الأمرُ كلَّ هذا الخراب. وربما لو خُيِّر أصحابُها لاختاروا الرحيلَ بصمتٍ على وسائد الموت.

طوفان الأقصى

معرض غزة

نحن أحرار

we are free

/omarbdoor /obdoor @omarbdoor

طوفان الأقصى

معاً لنصرة غزة

عمر بدور
كاتب . قاص . فنان تشكيلي . الأردن

/omarbdoor
/obdoor
@omarbdoor

عبدور 2026
f/omarbdoor /obdoor @omarbdoor

عَرُوس غزة
قالت لي أمي:
أتمنى أن
أراك عَرُوسَة.
ماتت أمي،
وبَقِيَ فُستان
الفرح
يَقْطُرُ دَماً.
Gaza Bride
my mother
once told me:
i wish to see
you as a bride.
my mother
died, and the
brides dress
left bleeding.
/omarbdoor /obdoor @omarbdoor

طوفان الأقصى

معاً لنصرة غزة

د. علاء اللقطة
طبيب و فنان تشكيلي . فلسطين

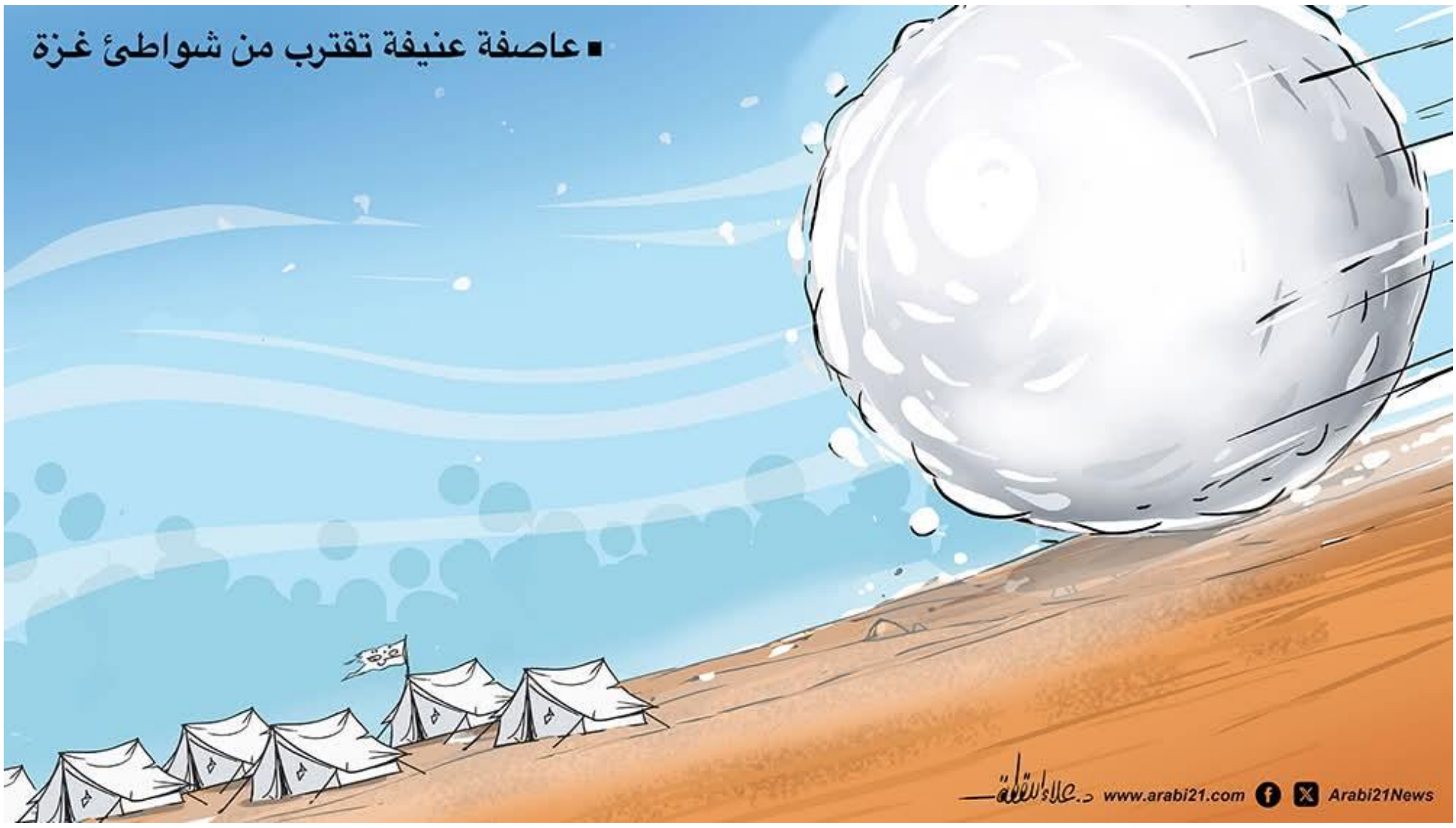

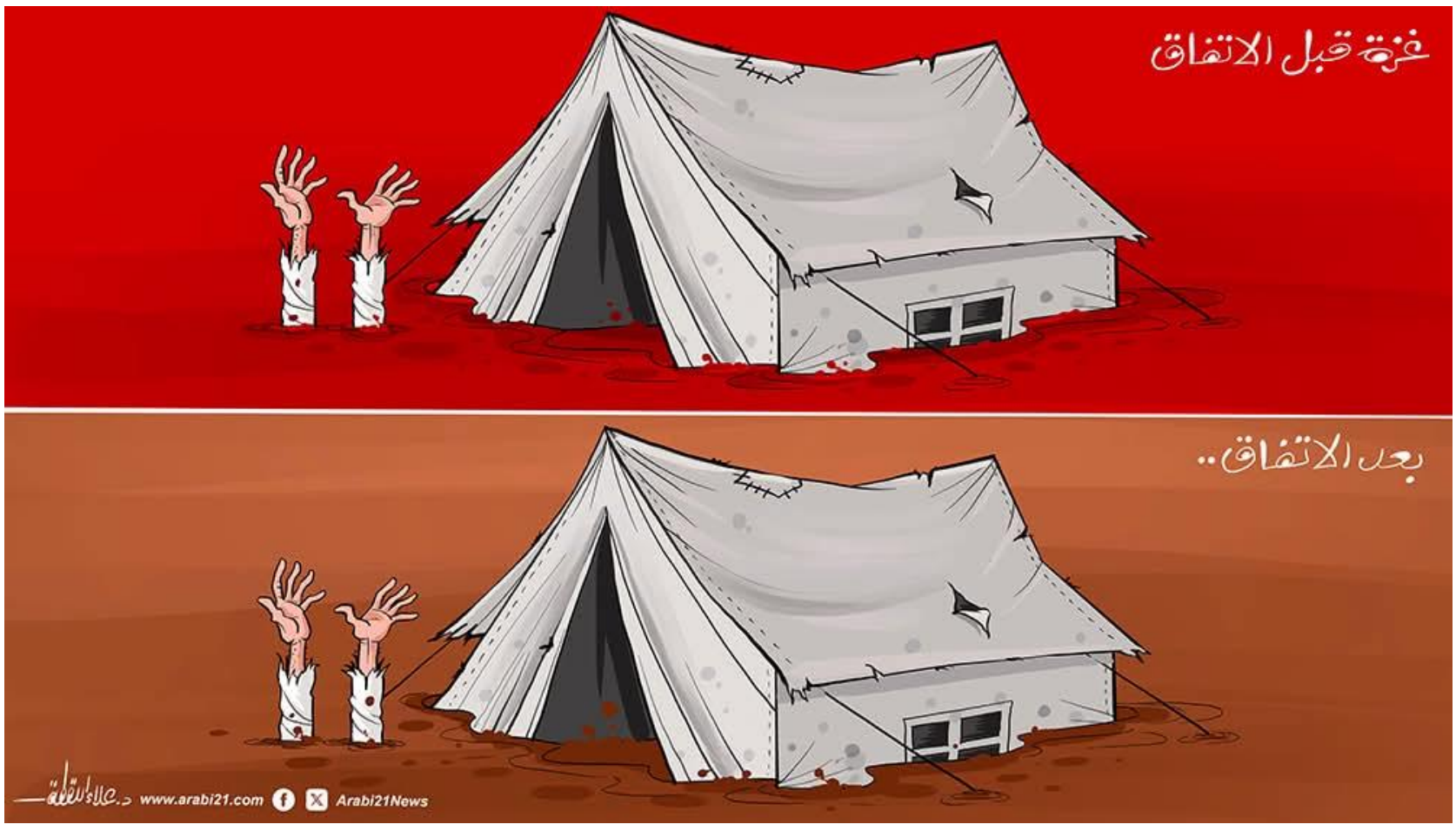
غزة قبل الاتفاق
بعد الاتفاق..
www.arabi21.com
Arabi21News
د.علاء اللقطة

نهاية العملاء
د.علاء اللقطة

▪ يُحكى أنّ وطناً جاءه الربيع في الشتاء
www.arabi21.com
Arabi21News
د. علاء اللقطة

طوفان الأقصى

معاً لنصرة غزة

عمر السطر
فنان تشكيلي . تونس

معاً لنصرة غزة

زهرة البي
فنانة تشكيلية. تونس

معاً لنصرة غزة

فريدة بغدادي
فنانة تشكيلية. تونس

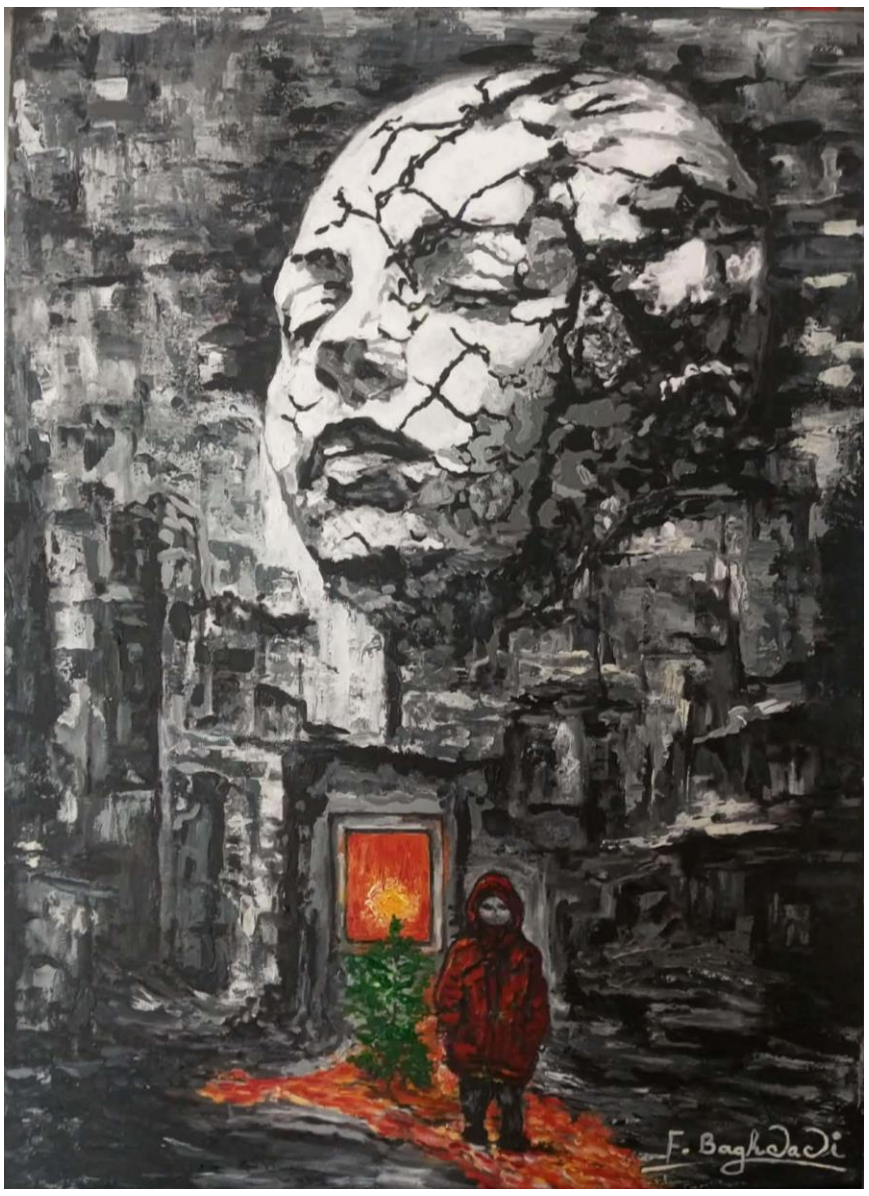

سعيدة بوبكر بوعجيلة
فنانة تشكيلية. تونس

معاً لنصرة غزة

رشيدة بوفارس

فنانة تشكيلية. تونس

رمزي شبيل

فنان تشكيلي. تونس

الأخرس الذي كان يُملي... وبيروت التي صفّقت

حاطب ليل

في زمنٍ كانت فيه بيروت تُقصف من الجو وتُدار من تحت الطاولة، ظهر بطلٌ لا يشبه الأبطال.
لا يحمل بندقية، ولا يرفع شعارًا، ولا يصرخ في ميكروفون.
يحمل معطفًا أسود ممزقًا، وصمتًا مدروسًا، وصورة متقنة للفقر تصلح للتمويه أكثر من أي وثيقة مزوّرة.
كان متسولًا... هكذا قيل لنا.
أخرس... هكذا صدّقنا.
قذر المظهر... لطمأنة الضمير الجمعي بأن الخطر دائمًا يأتي من الخارج، لا من الأرصفة التي نمرّ بها كل يوم.
يمشي بين الناس كما تمشي الأسرار الثقيلة:
لا تطلب، لا تشرح، لا تفضح نفسها.
يأخذ رغيفًا ويرفض ربطة،
يقبل سيجارة ويشمئز من علبة كاملة،
كأنه يلقّن المدينة درسًا في اقتصاد الخيانة:
خذ قليلًا كي لا تُكتشف، وابتسم كي لا تُسأل.
لم يشتم الاحتلال،
لم يهتف للمقاومة،
لم يلعن الحرب،
لم يطالب بالتحرير.
كان مواطنًا مثاليًا في زمن الاشتباه،
وهذا بحد ذاته إنجاز أمني.
نام في الشارع،
وافترش الأرض،
والتحف السماء،
كأنه يعرف أن الأسقف تسقط أولًا،
وأن من يملك سرًّا لا يحتاج جدرانًا.
ثم جاءت إسرائيل.
لم تدخل كغزاة،
بل كضيوف يعرفون العنوان،
يعرفون الأزقة،

يعرفون من لا يُقصف،
ويعرفون جيدًا من كان ينتظرهم صامتًا.
الناس كانوا يصرخون،
يهربون،
يموتون.
وهو كان مستلقيًا على الأرض،
غير معنيّ،
كموظف أنهى دوامه وينتظر السيارة الرسمية.
توقفت عربة مصفحة.
نزل ضباط.
أسلحة مشهرة.
أصابع على الزناد.
دم في المكان،
ودخان بارود،
وجثث تؤكد أن هذا ليس تمرينًا.
اقتربوا.
فوقف.
لم يرفع يديه...
رفع رأسه.
وفجأة، حدث ما لا يُدرّس في كتب الوطنية:
تحية عسكرية.
لغة عبرية نظيفة.
شكر رسمي.
"باسم جيش الدفاع الإسرائيلي نحييكم سيدي العقيد،
فلولاكم ما دخلنا بيروت."
الأخرس... تكلّم.
وبالعبرية.

وبسخرية باردة كأنها ملح على جرح مدينة:
"تأخرتم قليلًا."
ثم صعد العربة.
تحرك الموكب.
وبقي الناس في أماكنهم،
يحاولون ترجمة المشهد،
لكنهم فشلوا.
ليس لأنهم لا يعرفون العبرية،
بل لأنهم لا يعرفون الخيانة حين ترتدي ثياب المسكنة،
ولا يتخيلون أن المتسول قد يكون دليلاً،
وأن الصمت قد يكون وظيفة.
وهنا تبدأ الحكاية الحقيقية، لا تنتهي:
كم متسول أخرس في بلادنا؟
كم واحد لا يظهر في الإعلام،
لكنه يفتح الأبواب الخلفية؟
كم مسؤول نظيف البدلة،
معطّر الخطاب،
يرفض الرشوة الصغيرة
لكنه يوقّع الصفقة الكبرى باسم الحكمة والواقعية؟

كم متسول نظيف الجسد
ممّزق القلب،
قبيح الضمير،
يريد لنا الفوضى ثم يقنعنا أنها خلاص؟
لا تخافوا من المتسول الذي يمد يده في الشارع،
خافوا من المتسول الذي يمدها للخارج
ثم يطلب منّا أن نصفّق له في الداخل.
صحيح أنا حاطب ليل،
لكن لأنقل لكم تجربتي.

الإمارات وإسرائيل: حلف استراتيجي..!!
ومشروع « حزام القواعد »

د. زياد الصالح
كاتب. باحث. السعودية

يجب أن ندرك جميعًا أن العلاقة (الإماراتية – الإسرائيلية) ليست مجرد «تطبيع» سياسي، بل تحوّلت إلى تحالف أمني وعسكري متجذّر. فبينما كان يُنظر إليها في عام 2020 كخطوة لكسر العزلة، تُظهر التطورات في عامي 2025 و2026 أنها أصبحت «شراكة وجودية» قائمة على:

• تبادل الأدوار: تلعب الإمارات دور «الذراع المالي واللوجستي»، بينما تقدّم إسرائيل «التفوّق التكنولوجي والاستخباراتي والضوء الأخضر الأمريكي».

حتى وصل التعاون العسكري بينهما إلى تكامل دفاعي جوي؛ إذ جرى البدء بدمج رادارات إسرائيلية ضمن شبكة الدفاع الإماراتية بشكل كامل لمواجهة المسيّرات والصواريخ بعيدة المدى، كما أن رادارات الدفاع الجوي الإماراتية تمسح العمق السعودي.

▪مشروع «حزام القواعد»

إن التحالف الإماراتي–الإسرائيلي حاليًا هو «تحالف الضرورة القصوى» لإعادة رسم خارطة القوة في الشرق الأوسط؛ حيث تعتبر الإمارات إسرائيل «مظلّة أمنية» بديلة عن التذبذب الأمريكي، بينما ترى إسرائيل في الإمارات «بوابة شرعية» للوصول إلى عمق المياه الدافئة ومحاصرة خصومها.

ويبدأ هذا المشروع بالسيطرة على الممرات المائية بوصفها حجر الزاوية في هذا التحالف، مع التركيز على مثلث (البحر الأحمر – خليج عدن – بحر العرب).

أُطلق اسم مشروع «حزام القواعد» على هذا التوجّه، إذ تسعى من خلاله الإمارات، بمساعدة استخباراتية إسرائيلية، إلى تثبيت نفوذها في نقاط خنق بحرية استراتيجية، تشمل: (جزيرة ميون) في مضيق باب المندب، و(جزيرة سقطرى)، وميناء (بربرة) في أرض الصومال.

• تأمين الملاحة الإسرائيلية: تشير التقارير إلى إنشاء شبكات إنذار مبكر ونشر رادارات إسرائيلية، مثل منظومات ELM-2084، في المواقع التي تسيطر عليها القوات المدعومة إماراتيًا في اليمن، لتأمين السفن المتجهة إلى ميناء إيلات بعيدًا عن تهديدات «المقاومة».

• ممر IMEC: تعزيز العمل على «الممر الاقتصادي بين الهند والشرق الأوسط وأوروبا» ليكون بديلًا جزئيًا لقناة السويس، بما يربط موانئ دبي بميناء حيفا برًّا وبحرًا.

وأخيرًا

المصادر «الخاصة» حول الأجندة المستقبلية (2026) تؤكّد معلومات مسرّبة من دوائر صنع القرار أن عام 2026 سيشهد: • اعترافًا ضمنيًا بجنوب اليمن، عبر دفع إماراتي–إسرائيلي لدعم استقلال «دولة الجنوب» لتكون حليفًا رسميًا يؤمّن باب المندب.

ومن هنا نؤمن أن التحرك الفوري الإسلامي والعربي، بقيادة المملكة، وبوجود شخصية الأمير محمد بن سلمان، ولي العهد السعودي، أصبح أمرًا حتميًا لقطع الطريق على مشروع «حزام القواعد» الصهيوني–الإماراتي .

الدولة التنموية
كيف أعادت كوريا تعريف القوة في زمن الأزمات؟
دروس للنخب العربية

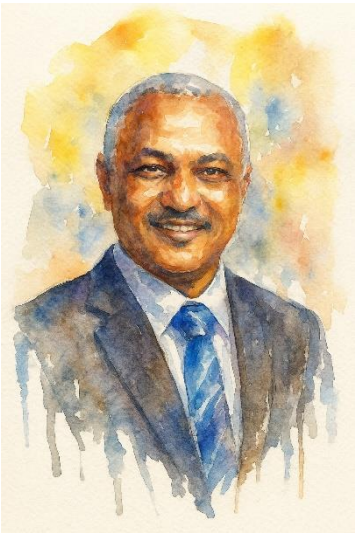

د. كمال دفع الله بخيت
باحث في العلاقات الدولية و شئون التنمية
سوداني . مقيم في سيئول . كوريا

مع صدور العدد الثاني والأربعين من مجلتنا الغرّاء « وطني »، الثقافية والفكرية، ونحن نودّع عامًا مثقلًا بالأزمات ونستقبل عامًا جديدًا نتطلع أن يكون عامًا للسلام والرخاء والتنمية في بلداننا العربية، لم أجد موضوعًا أكثر إلحاحًا ولا أعمق دلالة من إعادة فتح ملف الدولة التنموية فبين أحلام الشعوب المشروعة، وتحديات الواقع القاسي، يظل سؤال الدولة: دورها، وظيفتها، وقدرتها على تحويل الأزمات إلى مسارات نهوض، هو السؤال المركزي الذي لا يمكن تجاوزه.

في هذا السياق، تأتي تجربة كوريا الجنوبية لا بوصفها نموذجًا مثاليًا يُستنسخ، بل كخبرة إنسانية وسياسية تستحق التأمل، خاصة ونحن نعيش في منطقتنا العربية، وفي السودان على وجه الخصوص، لحظة تاريخية فارقة تتطلب شجاعة التفكير خارج القوالب التقليدية، والانتقال من إدارة الأزمات إلى بناء مسار تنموي مستدام.

ومن كوريا إلى العالم، أحاول في هذا المقال أن أضيء زاوية من هذا النموذج، لعلها تسهم في إثراء النقاش حول مستقبل الدولة والتنمية في عالمنا العربي.

في عالم لم تعد فيه القوة حكرًا على السلاح ولا السيادة مرهونة بالموارد الطبيعية، أعادت تجربة كوريا الجنوبية طرح سؤال الدولة من جديد: **ما الذي يجعل دولة ما قادرة على الصمود، بل والتحول والتقدم، في زمن الأزمات؟**

لا تُقرأ التجربة الكورية بوصفها حكاية نجاح خارقة، بل تُقرأ باعتبارها نموذجًا فكريًا وعمليًا لكيف يمكن للدولة أن تتحول من كيان مثقل بالأزمات إلى عقل استراتيجي يقود المجتمع نحو

المستقبل ويؤثر إيجابا في محيطه الإقليمي ويصبح تجربة يتطلع لها من يسعى للنهوض في عالم تتلاطمه أمواج الأزمات الاقتصادية.
خرجت كوريا من الحرب الكورية 1950-1953 مدمّرة، فقيرة، بلا أي موارد ومقسّمة اجتماعيًا، في لحظة تاريخية لم تكن أفضل حالًا من أوضاع كثير من الدول العربية والإفريقية اليوم، بما فيها السودان.

غير أن الفارق لم يكن في حجم الدمار، بل في طريقة التفكير في إعادة البناء.

لذلك لم تختصر الدولة الكورية دورها في السيطرة، ولم تترك المجتمع نهبًا للسوق، بل أعادت تعريف نفسها كمنسَق ذكي، يضع الأولويات، ويستثمر في الإنسان، ويربط المعرفة بالإنتاج، دون أن يتحول إلى جهاز خانق أو سلطة معزولة عن المجتمع.

هذا الفهم العميق لوظيفة الدولة هو ما تفتقده كثير من التجارب العربية، حيث اختلطت هيبة الدولة بتضخم السلطة، وحُلّ التخطيط و أخذ محله الارتجال، وغابت المساءلة خلف الخطاب السياسي؛ في المقابل، بنت كوريا دولة لا تُقاس قوتها بعدد القوانين، بل بقدرتها على تنفيذها، ولا تُقاس شرعيتها بالشعارات، بل بنتائج ملموسة يشعر بها المواطن في التعليم والعمل والخدمات.
أحد المفاتيح الجوهرية في التجربة الكورية هو إعادة تعريف النخبة؛ لم تُصنع النخبة هناك حول الامتياز السياسي أو القرب من السلطة، بل حول الكفاءة والمعرفة والقدرة على الإدارة، فالنخبة في كوريا هي نخب منتِجة، تُحاسَب على الفشل بقدر ما تُكافأ على النجاح.

هذا الدرس بالغ الاهمية لنا في العالم العربي، حيث تعاني دول كثيرة من نخبة ريعية تستهلك الدولة بدل أن تبنيها، وتدير الأزمات كفرص للبقاء لا كمسؤولية وطنية.

أما في إدارة الأزمات، فقد تعاملت كوريا معها كاختبار حقيقي لشرعية الدولة، لم تكن الأزمات لحظات إنكار أو تحميل المسؤولية للخارج أو تعليقها في شماعة المؤامرة الإمبريالية، بل لحظات مراجعة وإصلاح مؤسسي، تُستدعى فيها المعرفة والخبرة، ويُصارح فيها المجتمع، وتُتخذ فيها قرارات صعبة لكنها ضرورية.

وهنا يكمن الفارق الجوهري: الدولة التي تواجه أزماتها بالكفاءة، لا بالقمع أو الخطابة، تكتسب ثقة مجتمعها حتى في أصعب الظروف.

قد يبدو هذا النقاش في مقالتي هذه، للوهلة الأولى، نخبوياً أو بعيدًا عن هموم المواطن العادي، لكنه في الحقيقة يمس جوهر حياة المواطن العربي العادي اليومية، فحين تُدار الدولة بعقل تنموي، يصبح التعليم طريقًا حقيقيًا للعمل لا مجرد شهادة، وتتحول الخدمات من منّة إلى حق، ويصبح الأمل قابلًا للقياس لا وعدً مؤجلاً، هذا ما يجعل التجربة الكورية ذات معنى مباشر للعامة، لا للنخب فقط .

بالنسبة للسودان، فإن قراءة التجربة الكورية ليست ترفًا فكريًا، بل ضرورة سياسية وتنموية. فالسودان ليس دولة بلا إمكانات، بل دولة أرهقت بالصراعات وسوء الإدارة وغياب الرؤية طويلة المدى؛ وما تقوله كوريا لسودان، وللمنطقة العربية عمومًا، ليس « انسخوا النموذج »، بل أعيدوا الاعتبار للإنسان، وللإدارة العامة، وللتوافق الوطني حول التنمية بوصفها أولوية تسبق الصراع على السلطة.

إذن الدرس الأعمق من كوريا إلى العالم العربي هو أن الدول لا تنهض بالموارد وحدها، ولا تسقط بالفقر فقط، بل تنهض أو تسقط بنوع النخبة التي تقودها، وبقدرتها على تحويل المعرفة إلى قرار، والتخطيط إلى واقع.

والسؤال الذي ينبغي أن يشغل النخب السياسية والفكرية اليوم ليس لماذا نجحت كوريا، بل لماذا لا نزال نتردد في تبنّي منطق الدولة التنموية، ونحن في أمسّ الحاجة إليه؟

حروب «إسرائيل» غير المنتهية *

د. عبد الحليم قنديل

كاتب . باحث . مصر

لا أحد عاقل يتوقع أن يعمّ الهدوء فى المنطقة، ولا أن تسود اتفاقات «أبراهام» اللعينة إياها، بل الأرجح أن تكون الحروب المتجددة والمستأنفة هى السمة الأبرز للمنطقة فى عام 2026، وبالذات فى المشرق العربى، من فلسطين إلى لبنان إلى سورية والعراق، وصولًا إلى إيران. والسبب لا يخفى؛ فلم تنتصر «إسرائيل» أبدًا، ولم تحقق جوهر أهدافها فى حروب توالت منذ 7 أكتوبر 2023 إلى اليوم، ولم تصنع ما تسميه «الشرق الأوسط الجديد» على مقاسها، ولا هى استعادت قوة الردع المانعة لتجدد الحروب، ولا أنهت حربًا واحدة باستسلام الخصوم، وهم – باستثناء دولة إيران – من جماعات وحركات المقاومة الشعبية.

وصحيح أن نار الحروب لم تنطفئ حتى بعد اتفاقات وقف إطلاق النار على جبهتي «غزة» ولبنان، لكنها تجري في مستوى منخفض نسبيًا، وتبدو كصدامات من طرف واحد هو كيان الاحتلال، الذي اخترق وقف النار المعلن في لبنان نحو سبعة آلاف مرة، واخترق وقف النار المعلن منذ أسابيع في «غزة» لأكثر من ألف مرة. وبادر العدو باختراقات دون رد على جبهة سورية، باستثناء حالات نادرة، أبرزها ما جرى في قرية «بيت جن» ومقاومتها الشعبية، على الرغم من ضراوة القصف «الإسرائيلي» والغزوات البرية المتصلة لأكثر من عام، وصولًا إلى قلب دمشق، وتحطيم معظم أسلحة وقواعد الجيش السوري بآلاف الغارات، والاستيلاء الفعلي المباشر على أراضٍ في جنوب سورية أُضيفت إلى الجولان المحتل، وتبلغ مساحتها – في أقل تقدير – أكثر من ضعف مساحة «غزة»، فضلًا عن حضور ظلّ الاحتلال «الإسرائيلي»، بالأصالة وبالوكالة، على ما يزيد على ضعف مساحة لبنان بأكمله.

وفي فلسطين، قلب الصراع الدموي المتصل منذ نحو ثمانين سنة، لا تبدو الحرب منتهية حتى تاريخه، ليس فقط في «غزة»، التي توقفت فيها حرب الإبادة الجماعية للبشر والحجر والشجر كما كانت عليه قبل أكثر من شهرين، وبلغ عدد القتلى الفلسطينيين الجدد نحو خمسمائة حتى الآن، فضلًا عن استمرار اغتيال قادة المقاومة، على غرار اغتيال المظلوم «رائد سعد»، ومنع العدو تدفق المساعدات الإغاثية المتفق عليها في المرحلة الأولى من تنفيذ «خطة دونالد ترامب». ولم يصل إجمالي الإغاثات الغذائية والطبية المسموح بها حتى إلى ربع المتفق عليه والموقّع، مع غلق معبر «رفح»، وبقاء الاحتلال «الإسرائيلي» المباشر في 53% من مساحة «غزة» خلف ما سُمّي «الخط الأصفر»، الذي أزاحته «إسرائيل» غربًا، ومدّت حضورها العسكري المباشر إلى 60% من إجمالي مساحة القطاع.

كما مدّت «إسرائيل» رعايتها لجماعات العملاء المسلحة قبل وبعد تصفية العميل الأول «ياسر أبو شباب»، وصرنا بصدد جماعات عملاء مضافة، من نوع عصابة «حسام الأسطل» في شرق «خان يونس»، إلى «رامي حلس» و«أشرف المنسي» وغيرهم في شرق مدينة «غزة» وشمالها. واستمرت «إسرائيل» في هدم آلاف المباني المتبقية بعد دمار حرب الإبادة، ومنعت دخول مئات آلاف الخيام والمساكن الجاهزة، وأحالت حياة الفلسطينيين في «غزة» إلى جحيم ومآسٍ لا تنتهي، ظهرت علاماتها الفاجعة مع دخول فصل الشتاء، وجرف السيول والمنخفضات الجوية لخيام النزوح المهترئة، وموت الشيوخ والأطفال الرضع تجمّدًا من قسوة البرد وأمراضه.

وكلها أمارات تدل على غلبة توقع استئناف الحرب، حتى مع امتناع «حماس» وأخواتها عن الرد حتى الآن، ومع مساعي الدخول إلى المرحلة الثانية من تنفيذ «خطة ترامب»، التي يسعى الوسطاء والرئيس الأمريكي لإقناع «بنيامين نتنياهو» وحكومته بشروطها المعلنة، وهو ما لا تبدو الطرق إليه سالكة، حتى مع استقدام ما يُسمّى «قوات الاستقرار»، وتشكيل مجلس الوصاية والانتداب المسمّى «مجلس السلام».

وفي لبنان، كما في الضفة والقدس، لا يتوقف إيقاع حروب «إسرائيل» من طرف واحد. فحرب الإبادة والتهجير جارية في كل مدن ومخيمات الضفة، وبالذات في القطاع الشمالي، حيث تُنفّذ عمليات تجريف وإخلاء وتفجير آلاف المباني، وتصعيد اعتداءات جيش الاحتلال وقطعان المستوطنين على المدنيين الفلسطينيين، واحتجاز الناس في معازل خلف أكثر من ألف حاجز، ولا يكاد يمر يوم دون سقوط شهداء جدد، واستمرار اعتقال الآلاف، حتى تجاوز عدد الأسرى الفلسطينيين عشرة آلاف، مع دفع عشرات الآلاف إلى النزوح القسري.

وفي الجنوب اللبناني، شهدت المنطقة إقامة حزام أمني متصل مع مرتفعات وسفوح «جبل الشيخ» في جنوب سورية. ففي بداية ما سُمّي باتفاق وقف العمليات العدائية، سيطرت قوات الاحتلال على خمس نقاط استراتيجية داخل الحدود اللبنانية، أضيفت إليها نقاط أخرى، ليصل العدد – وفق تقديرات – إلى ثماني نقاط حتى اليوم، بينما تراوح المساعي الدبلوماسية للحكومة اللبنانية مكانها، رغم إدخال ممثل دبلوماسي مدني إلى الوفد العسكري اللبناني في اجتماعات «لجنة الميكانيزم»، التي يترأسها جنرال أمريكي.

وبالمقابل، لا تُبدي جماعات الحكم الافتراضي، لا في سورية ولا في الضفة، أي رغبة حقيقية في مقاومة الاحتلال، سوى الاكتفاء بالشكاوى والاستغاثات بما يسمّى «المجتمع الدولي»، فيما ترفض حركات المقاومة تسليم سلاحها، ويؤكد «حزب الله» رفض نزع السلاح خارج جنوب نهر «الليطاني»، بينما ترفض «حماس» وأخواتها مبدأ نزع السلاح أصلًا، وتعتبر – عن حق – أن المقاومة المسلحة باقية ما بقي الاحتلال.

والمحصلة، ببساطة، أن حروبًا أعنف وأشمل تدق الأبواب، ليس فقط في فلسطين ولبنان، بل في سورية أيضًا، وقد تمتد شراراتها إلى اليمن والعراق، وربما إلى مواجهة أوسع مع إيران، بعد أن انتهت حرب «الاثني عشر يومًا» إلى وضع معلّق، لم يحقق للأمريكيين ولا لـ«إسرائيل» أهدافهم المعلنة، وبقيت المنطقة مفتوحة على احتمالات اشتعال كبرى.

* نُشرت المقالة في صفحة مجلة «الشراع» اللبنانية، الإثنين 22 ديسمبر 2025، ويُعاد نشرها لأهميتها.

مرايـــا

- التعليم المؤدلج والجهل الإجباري
- الصناعات الثقافية والإبداعية وأثرها على التنمية
- التحوّل بوصفهِ فرضَ عينٍ : كيف يُطهّرُ الألمُ روح الوطن؟!
- رنين الوفاء حين يهتز القلب على تردد الحب
- كيمياء الخَلق وقداسة الإنسان والوطن
- المرأة العاملة في ظل الحروب تحديات من أجل العيش بكرامة
- نظرات عميقة في سورة "يوسف" الحزن أنموذجا "..!!
- الهروب إلى الغيب جدلية العودة إلى الأصل المجهول
- الحُب ... قلب ازداد دقاته ..

التعليم المؤدلج والجهل الإجباري

عادل الأمين
كاتب. قاص. باحث
سوداني مقيم في اليمن

« منو الطفّى النور؟ »

بعد سبعين عامًا من استقلال السودان، يظل السؤال معلقًا بإلحاح: ما الذي أوصل البلاد إلى هذا الحضيض؟

الانقلابات المشبوهة لم تكن وحدها الجواب، بل كان التعليم المؤدلج أحد أخطر الأدوات التي أعادت تشكيل الوعي، وقيّدت العقل، وأفرغت الإنسان من قدرته على السؤال.

التعليم المؤدلج هو ذلك النمط من التعليم الذي يهدف إلى غرس أفكار ومعتقدات بعينها في عقول الطلاب، دون أن يتيح لهم مساحة للتفكير النقدي أو الاستقلالي. وهو تعليم مضر لأنه:

1. يقيّد التفكير النقدي، ويدفع الطلاب إلى تبني أفكار جاهزة دون تحليل أو مساءلة.

2. يخلق التعصب، ويغذي رفض الآخر دون فهم أو حوار.

3. يضر بالتنوع الثقافي، ويُقصي اللغات والهويات المختلفة.

4. يعوق النمو الشخصي، ويجعل الفرد عاجزًا عن اتخاذ قرارات مستقلة.

ويرتبط هذا النمط من التعليم بما يُعرف بنظرية «القرود الخمسة»، وهي قصة رمزية تشرح كيف يُعاد إنتاج الجهل.

تقول القصة إن خمسة قرود وُضعوا في قفص، وعلى سقفه موز.

كلما حاول أحدهم الوصول إلى الموز، رُشّ عليه ماء بارد.

بعد فترة، توقف الجميع عن المحاولة.

ومع استبدال القرود واحدًا تلو الآخر، ظل السلوك ذاته قائمًا، رغم أن أحدًا لم يعد يعرف سبب المنع.

هكذا يتعلم القيد بلا سبب، ويُورَّث الخوف دون سؤال.

هذه القصة تختصر أثر التعليم المؤدلج:

أفكار تُتَّبع دون فهم، وموروثات تُقدَّس دون وعي، وتغيير يُقاوَم لأنه فقط «مختلف».

عشان كده، ناس «قريعتي راحت» مسكوا الشباب من الضنب والكُكُو.

انقلاب مايو 1969 شوّه الشعار، وعبث بالمناهج، وخرّب الخدمة المدنية والاقتصاد والإعلام، واستجلب الخساسة إلى السياسة.

قُتل الأزهري، والهادي المهدي، وعبد الخالق محجوب، والشفيع، والأستاذ محمود محمد طه.

وظل جيل الاستقلال الذهبي يُهمَّش ويُقَبَّح، كما همِّش المؤسسون:

السيد عبد الرحمن المهدي، والسيد علي الميرغني، والأستاذ محمود محمد طه، والدكتور جون قرنق، ثم علي محمود حسنين، حتى تحولت البلاد إلى ساحة تجاذبات خارجية، وأيديولوجيات مصرية وعربية مستهلكة، ما زلنا ندور في فلكها ونحن على مشارف الذكرى السبعين للاستقلال، في 1 يناير 2026.

لذلك، يصبح لزامًا على المؤسسات التعليمية أن تتجنب التعليم المؤدلج، وأن تشجع التفكير النقدي والاستقلالي، وأن تخلق بيئة تعليمية متنوعة وشاملة، تعيد بناء الهوية السودانية الحضارية والفكرية والثقافية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية.

هوية تستعيد علم الاستقلال الأصلي، ودولة 1956 الديمقراطية، الفدرالية، الاشتراكية، المدنية، التي وفّرت مجانية السكن والتعليم والإعاشة والسفر والعلاج، من إيرادات القطن ومشروع الجزيرة، قبل النفط والذهب.

ثم جاءت القردة، لتلهو في السوق.

والتحرر من أسر الأيديولوجيات المصرية، والقوميين العرب، والإخوان المسلمين، ضرورة نهائية، لأنها ملوثات لا تشبه السودان ولا السودانيين، وأدخلت البلاد في جحر ضبٍّ خرب.

الصناعات الثقافية والإبداعية وأثرها على التنمية

د. شاكر صبري حافظ
كاتب. قاص . شاعر . مصر

أولًا: التعريف العام للصناعات الثقافية والإبداعية

هي الصناعات التي تعتمد على الإبداع البشري لإنتاج سلع وخدمات ذات قيمة ثقافية بناءة.

وتشمل هذه القطاعات النشر، والأفلام التسجيلية، والفنون، والتصميم، والإعلان، وتعتمد هذه الثقافات كثيرًا على الإبداع الشخصي في إنتاج هذا المنتج أكثر من اعتمادها على الدعم المادي، ولهذا فهذه الصناعات تتناسب مع الظروف الاجتماعية العادية أو البيئة غير المتوفر فيها موارد اقتصادية كثيرة، وتشير الإحصائيات إلى أن الصناعات الثقافية والإبداعية هي الأسرع نموًا في العالم، وأنها خيار تنموي مستدام، وتضم هذه الصناعات تحت مظلتها طيفًا متنوعًا من الجهات الفاعلة، وتمثل نقطة التقاطع بين ميادين الفنون، والثقافة، والتراث، والتجارة، والتكنولوجيا، ويتميز مجال الصناعات الثقافية والاقتصاد الإبداعي بخصائص ثلاثة تجعله عاملًا أساسيًا في تطوير المزايا

التنافسية المستديمة في الثقافة، وهي:

كلٌّ من الصناعات الثقافية والاقتصاد الإبداعي يشكلان موردًا اقتصاديًا متجددًا ومستدامًا وغير محدود لتحقيق التنمية للمجتمع.

الصناعات الثقافية والاقتصاد الإبداعي يشكلان صناعة نظيفة تساهم في تحقيق أهداف التنمية في الدول في العديد من المجالات، وهي: الاستثمار، والتشغيل، وإدماج الشباب والمرأة، وحماية المحيط.

قطاع الصناعات الثقافية والاقتصاد الإبداعي يشجع ويعزز من دور التنوع الثقافي، وتنوع وسائل التعبير والتفكير لدى الأفراد.

الصناعات الثقافية والاقتصاد الإبداعي يساهمان بدور كبير في التنمية، وهذه الصناعات تتميز بقدرتها العالية على التكيف والتأقلم مع الظروف الاقتصادية والاجتماعية المتغيرة، مما يجعلها مصدرًا متنوعًا للنمو الاقتصادي.

الصناعات الثقافية ليست مجرد وسيلة اقتصادية أو اجتماعية فقط، بل هي وسيلة للحفاظ على الهوية الثقافية والوطنية على السواء.

قديمًا كان يُنظر إلى الصناعات الثقافية على أنها الفن الاستعراضي والفنون المرئية، أما في الحقب الأخيرة فقد تطورت هذه النظرة وأصبحت تشير إلى الاستراتيجية التي تواجه النظم المنهجية للفنون والارتقاء بالمجتمعات الإبداعية، ويمكن النظر في هذه الحالة إلى نظام اقتصاد المعرفة، إذ كيف يمكن أن يدعم القطاعان العام والخاص الإبداع، من أجل دفع المبدعين والفنانين ليكونوا منتجين اقتصاديًا؟

حيث يجب تشجيع المبدعين الذين يجرون الأبحاث، ويقومون بعمل منتج ثقافي بأي نوع من أنواعه، سواء كان ورقيًا أم فنيًا أم يدويًا، ودعمهم على مواصلة عملهم، والحصول على أجر مجزٍ مقابل القيام بذلك.

لأننا إذا أردنا أن تتحول هذه القدرات الخلاقة إلى قيمة، وتتحول الفنون إلى أعمال ذات جاذبية، فيجب تمويل ودعم هذه المشروعات الثقافية، ويتطلب الأمر أموالًا لتأسيس أفراد ذوي قدرات بناءة في مجال الإبداع، ووضع رؤية شفافة للحياة الإبداعية بكل أنواعها، حتى يرفع فيها الفن من قدر الاقتصاد، ويعطي منتجًا ثقافيًا قادرًا على أن يرفع من الشأن الاقتصادي ويكون ذا جدوى، كما يساعد الاقتصاد الفن في إحداث نقلة نوعية في التفكير الثقافي، ومن خلالها يمكن حل المعادلات الصعبة ما بين الحفاظ على العمل الإبداعي والفني أيًا كان نوعه، وبين تأكيد الجدوى الاقتصادية والعائد النفعي لهذا المنتج الثقافي، وبهذا يمكن لكلا الطرفين، المبدع المنتج والممول الداعم، وغالبًا ما تكون الدولة أو رأس المال الاستثماري، حفظ حقوقهم الإنتاجية.

صناعة الثقافة

الثقافة المصنوعة أو صناعة الثقافة هي مصطلح صاغه الفيلسوف النقدي الألماني تيودور أدورنو والفيلسوف ماكس هوركهايمر (1895–1973)، وتم تقديمه كمصطلح من مصطلحات النظرية النقدية في فصل (ثقافة الصناعة: التنوير باعتباره خداعًا جماعيًا) من كتاب جدل التنوير الذي ألّفه أدورنو عام (1944)، حيث قالا إن الثقافة الشعبية أشبه بمصنع ينتج سلعًا ثقافية ممزوجة من أفلام وبرامج إذاعية ومجلات، وغير ذلك، تهدف إلى التلاعب بالمجتمع وجرّه إلى السلبية.

إن استهلاك المتع الزائفة للثقافة الشعبية صار ممكنًا بواسطة وسائط الإعلام، ما يجعل الناس في حالة من الانقياد لها بغضّ النظر عن ظروفهم المعيشية، وأن الخطورة تكمن في أن صناعة الثقافة تخلق حاجات نفسية لا يمكن أن يتم إشباعها إلا من خلال منتجات الرأسمالية.

ولذا ينظر أدورنو وهوركهايمر إلى الثقافة المنتجة على نطاق واسع على أنها تمثل خطرًا على الفنون الرفيعة الأكثر دقة وذات الجوهر الفكري، ويريان أنه على العكس مما تشيعه الثقافة الشعبية المنتجة على نطاق واسع فإن الاحتياجات النفسية الحقيقية هي: الحرية، والإبداع، والسعادة الحقيقية. وتتطابق هذه الرؤية لماهية الاحتياجات النفسية مع ما رسمه هربرت ماركوزه في كتابه إيروس والحضارة.

الثقافة كأداة التمكين المجتمعي والتنمية المحلية

تمثل الثقافة أداة قوية للتمكين المجتمعي والتنمية المحلية من خلال تعزيز التماسك الاجتماعي، وتمكين الشباب بمختلف أطوارهم والنساء، وتطوير الصناعات الثقافية والإبداعية لخلق فرص عمل وزيادة الرفاهية المجتمعية، وتساعد الثقافة على إبراز التراث والهوية المحلية، كما تساعد على دعم الحوار والتفاهم بين الثقافات المختلفة، بالإضافة إلى توفير آليات لدعم وتمويل المشروعات الثقافية على المستويين المحلي والدولي.

تأثير الثقافة على المجتمعات:

تساعد على **تعزيز التماسك الاجتماعي:** حيث تساهم الثقافة في تعزيز التماسك المجتمعي والتلاحم بين أفراد المجتمع، لأنها تمثل نقطة التلاقي والتواصل بين الأفراد والجماعات المختلفة.

تعزز التنوع الثقافي: وأيضًا تسهم في إثراء التنوع الثقافي في المجتمعات، مما يعزز الفهم المتبادل والاحترام بين مختلف الثقافات والتقاليد.

لها تأثير على التطور الاقتصادي: يمكن أن تؤثر الثقافة على التطور الاقتصادي للمجتمعات من خلال تشجيع الابتكار، وتقوم بدعم الصناعات الإبداعية التي تعكس الهوية الثقافية للمجتمع.

تقوم بتحديد الأولويات السياسية: إذ تؤثر الثقافة أيضًا في تحديد الأولويات السياسية واتخاذ القرارات العامة، حيث تعكس قيم المجتمع وتوجهاته.

مفهوم التنمية الثقافية

التنمية الثقافية هي تمكين الأنشطة الثقافية أو تعزيزها داخل المجتمع؛ لجعل أفراد المجتمع أكثر ثقافة وإدراكًا، مما يُحسن من جودة حياتهم، لأن الثقافة تفتح آفاقًا اجتماعية واقتصادية جديدة في البلد الذي ينتمون إليه، وهو ما يزيد من دخلهم، ويحقق لهم الرفاهية على المدى البعيد.

أهداف التنمية الثقافية

المحافظة على الموروث الثقافي: نظرًا لكون الثقافة تحمل هوية المجتمع ومعتقداته وعاداته، فإن التنمية الثقافية تسهم في تعميق تلك المفاهيم لدى أفراد المجتمع مع مرور الوقت.

نشر المعرفة: يعدّ نشر المعرفة من أهم أهداف التنمية الثقافية، إذ تسهم المعرفة في رفد المجتمع بالكفاءات والقدرات البشرية التي تمتلك العلم والمهارات والإبداع والطموح، كما أن المعرفة تُعد عماد تقدم المجتمعات وارتقائها.

تعزيز الفكر الإبداعي لدى الأفراد: إن العمل الجاد في مجال التنمية الثقافية في المجتمع، ودعم الأنشطة الثقافية التي تزيد من ثقافة الأفراد، يُعد مقياسًا مهمًا لتطوير الإبداعين الثقافي والفني، وهذا يساعد على تطوير المجتمع الذي ينتمون إليه، خاصة إذا ركز العمل على تشجيع تميز الأعمال الثقافية، وعلى زيادة وعي المواطنين بأهمية النشاط الثقافي.

تحقيق النمو الاقتصادي: تعزز الثقافة النمو الاقتصادي في البلاد عبر السياحة الثقافية والحرف اليدوية وغيرها من المجالات، وإن العمل على التنمية الثقافية يُعد استثمارًا ناجحًا في عالم الاقتصاد، ويساعد على ترسيخ مفهوم التنمية المستدامة في المجتمع.

مجالات التنمية الثقافية

يوجد العديد من المجالات التي يمكن من خلالها تحقيق التنمية الثقافية، ومنها ما يأتي:

التشجيع على اكتساب المعارف الثقافية والفنية.

دعم الأنشطة والمشاريع الثقافية.

تطوير المكتبات ودعم الفنون بمختلف مجالاتها.

إحياء التراث.

الصناعات الثقافية في بعض المواقع الثقافية في مصر

امتازت بعض المناطق المصرية بوجهة ثقافية مميزة وتعتبر رمزًا من رموز الصناعة الثقافية، ومن هذه المناطق:

مدينة طنطا: تمحورت الصناعة الثقافية في طنطا حول الأنشطة الإبداعية والإنتاجية التي ساهمت في التراث الثقافي والفني للمدينة وللمحافظة، مثل الصناعات المرتبطة بالسياحة الدينية والتي تظهر في موسم مولد سيدي أحمد البدوي، والفنون البصرية والمسرحية التي يحتضنها المركز الثقافي بمسارحه وقاعاته المجهزة، بالإضافة إلى الصناعات التقليدية المتجددة مثل صناعة الحلويات والعسلية والمنسوجات.

محافظة الغربية: من محافظات الدلتا التي تتميز بالصناعة منذ سنوات طويلة، فهناك قلعة للصناعة المصرية داخل مدينة المحلة الكبرى والتي تعرف بصناعة الغزل والنسيج ويتم تصديرها إلى جميع دول العالم. فالصناعة لا تقتصر على الغزل فقط بل وصلت إلى تصنيع التليسكوبات الفضائية، ويوجد العديد من الأشكال والأحجام والأنواع للتليسكوب، ويختلف كل نوع عن الآخر في مدى الرؤية، ويتم تصدير كل الأنواع لكافة الجهات التي تعتمد على التليسكوب في الاستكشافات الخاصة بها سواء رؤية الهلال أو غيرها.

مدينة الجونة: تتجسد صناعة

الثقافة في الجونة بشكل أساسي من خلال مهرجان الجونة السينمائي، الذي يهدف إلى عرض التنوع السينمائي ودعم المواهب الناشئة وتعزيز التعاون الثقافي، بالإضافة إلى خلق منصة للتواصل بين صناع الأفلام من المنطقة العربية ونظرائهم الدوليين. ويُعد المهرجان محفزًا لتطوير صناعة السينما في المنطقة عبر برامجه المتنوعة مثل منصة "سيني جونة" التي تدعم مشاريع الأفلام.

مدينة أسوان: صناعة الثقافة في أسوان تتجسد في مزيج غني من الحرف اليدوية التقليدية مثل الفخار والنول والحلي، بالإضافة إلى الفنون الشعبية كالفنون النوبية وفنون التحطيب، والتي تتجسد من خلال المهرجانات والفعاليات التي تنظمها قصور الثقافة ومراكز التراث. ترتكز هذه الصناعة على التراث الحضاري والتاريخي الفريد للمحافظة، وتهدف إلى تنشيط السياحة المستدامة وتوفير فرص اقتصادية واجتماعية لأبنائها.

صناعة الثقافة في الأقصر: تتميز الأقصر بتراثها الفرعوني الغني الذي يشمل معابد مثل الكرنك والأقصر، إضافة إلى مواقع أثرية هامة في البر الغربي مثل وادي الملوك والدير البحري، مما يجعلها مركزًا عالميًا للثقافة والتاريخ. تشمل هذه الصناعات أنشطة متعددة الأوجه، يرتكز على تراث المدينة التاريخي العريق ويدعمه بنية تحتية ثقافية متنامية تضم قصورًا ومنازل ثقافة ومكتبات متنوعة، وتُدار هذه الصناعة عبر الهيئة العامة لقصور الثقافة بالتعاون مع وزارة الثقافة، بهدف نشر الوعي الثقافي وتقديم الفعاليات الفنية والأدبية والأنشطة الترفيهية المتنوعة في جميع أنحاء المحافظة.

المؤسسات الثقافية في الأقصر

يوجد في الأقصر عدد من المنشآت الثقافية التي تخدم المجتمع المحلي وتشمل: 12 قصرًا ومنزلًا ثقافيًا مثل قصر ثقافة الأقصر، وقصر ثقافة بهاء طاهر، وقصر ثقافة حسن فتحي.

الفعاليات والأنشطة

تنظم الهيئة العامة لقصور الثقافة العديد من الأنشطة الثقافية في الأقصر، منها:

ورش عمل فنية: لتعليم الحرف اليدوية مثل صناعة اللولي والفوم.

محاضرات توعوية: حول مواضيع اجتماعية ودينية وتنموية مثل أهمية التخطيط للأسرة.

فعاليات أدبية: تشمل أمسيات شعرية ولقاءات ثقافية متنوعة.

أنشطة مسرحية: بما في ذلك ورش لتعليم التمثيل للأطفال وتطوير الوعي الاجتماعي لديهم.

الاحتفالات والمناسبات التقليدية: وتشمل دورة أبو الحجاج الأقصري، والتي تعتبر استمرارًا لعيد الأوبت الفرعوني، ولعبة التحطيب وسباقات المرماح.

أهداف صناعة الثقافة في الأقصر

تهدف صناعة الثقافة في الأقصر إلى رفع الوعي الثقافي لدى الجمهور، وتعزيز القيم المجتمعية، والحفاظ على تراث المدينة الفريد، وذلك من خلال برامج متنوعة تنفذها الهيئة العامة لقصور الثقافة ضمن مبادرات وزارة الثقافة.

الحرف اليدوية والمنتجات التراثية تمثل الحرف اليدوية صناعات تقليدية تعكس الهوية الثقافية وتساهم في التنمية الاقتصادية، وتتطلب جهودًا للحفاظ عليها من الاندثار عن طريق دعم الحرفيين وتوفير فرص تدريب وتسويق، نظرًا لأهميتها كجزء من التراث الثقافي وعامل لتمكين المجتمعات . تمثل هذه الحرف انعكاسًا للقيم والمعارف التقليدية المتوارثة من الأجيال، وتشكل جزءًا هامًا من ثقافة كل مجتمع. تعتمد هذه الصناعات على مهارات يدوية خاصة يكتسبها الحرفيون أو يتوارثونها عبر الأجيال، وتستخدم مواد خام محلية وأدوات بسيطة .

أمثلة للحرف اليدوية التراثية في مصر :

النسيج والتطريز: مثل السجاد والكليم اليدوي .المشغولات المعدنية: مثل النحاس والفضة . الفخار والخزف: وهي صناعة يدوية تعتمد على دقة ومهارة الصانع .صناعة الخوص: من أقدم الصناعات التقليدية التي تعتمد على سعف النخيل .المنتجات الزجاجية: وهي حرفة قديمة تعتمد على الفن والمهارة، وظهرت بها تقنيات مثل "ميللفوري" الفرعونية .تلعب الحرف اليدوية والصناعات التراثية دورًا هامًا في الحفاظ على التراث، كحامل ثقافي يساهم في صون الهوية الثقافية للأجيال، وفي التنمية الاقتصادية، حيث توفر فرص عمل كبيرة، خاصة في المناطق الريفية والشباب، وتساهم في الاستقلال الاقتصادي وتحسين مستوى المعيشة، كما تساهم في تعزيز التبادل الثقافي، حيث تثري تراث الدول وتعزز التبادل الاقتصادي والثقافي بينها.

تواجه الحرف اليدوية تدهورًا بسبب ندرة الفنيين والمتدربين الجدد، وصعوبة التمويل والتسويق، مما يؤدي إلى قلة العائد المادي ونفور الشباب عن احترافها .

التجارب المجتمعية في المشاريع الثقافية الصغيرة تمكّن المجتمع من خلال إشراك الأفراد في بناء هويته الثقافية، وتعزيز رأس المال الاجتماعي، وتحقيق التنمية المحلية من خلال الفنون والمشاريع الثقافية التي تخلق فرصًا وتُسهم في حل المشكلات المجتمعية .تركز هذه التجارب على التفاعل والتعاون من أجل الرقي بالمجتمع، وتنمي الارتباط بالمكان، مما يُشجع على حمايته والمشاركة في أنشطته، مع الاستفادة من التمويل الجماعي والتكنولوجيا لتعزيز وصول هذه المشاريع ودعمها في وجه التحديات .

أهمية التجارب المجتمعية في المشاريع الثقافية الصغيرة: بناء الهوية الثقافية .تعزيز رأس المال الاجتماعي .تحقيق التنمية المستدامة .تعميق المشاركة المدنية: حينما يشارك الأفراد في الأنشطة الثقافية، يزداد الارتباط

بالمكان لديهم، مما يشجعهم على حماية الأماكن والمشاركة في دعم قضايا المجتمع الثقافية والاجتماعية .

الفنون والمسرح والشعبي والحرف كوسائل تنمية محلية تستخدم الفنون والمسرح والفنون الشعبية والحرف كأدوات فعالة للتنمية المحلية من خلال تعزيز الاقتصاد المحلي عبر توفير فرص عمل وتنمية السياحة الثقافية، بالإضافة إلى صقل الهوية الثقافية والحفاظ على التراث، وتساهم في التماسك الاجتماعي وإثراء الحياة الثقافية للمجتمعات .

كيف تسهم هذه الفنون والحرف في التنمية المحلية؟

دعم الاقتصاد المحلي: خلق فرص عمل حيث تخلق الأنشطة الفنية والحرفية فرص عمل لأبناء المجتمع، سواء في الإنتاج أو التدريب أو التسويق .

تنشيط التجارة: تساهم المنتجات الحرفية والفنية في تنشيط حركة التجارة المحلية، مما يعزز الاقتصاد ويجذب الاستثمارات .

تنمية السياحة الثقافية: يمكن تحويل المدن والمناطق إلى مراكز ثقافية سياحية من خلال تنظيم الفعاليات الفنية والمعارض الحرفية، مما يجذب الزوار ويعزز الاقتصاد المحلي .

تعزيز الهوية الثقافية والحفاظ على التراث: تعكس الفنون والحرف الشعبية الموروثات والقيم والتقاليد المتوارثة عبر الأجيال، وتساعد في الحفاظ عليها ونقلها للأجيال القادمة .

تأصيل الروح الجماعية: يساهم الفن في ربط الناس بثقافتهم وهويتهم، مما يقوي الشعور بالانتماء للمجتمع .

المساهمة في التنمية الاجتماعية والتعليم والتواصل: تعمل الفنون كوسيلة فعالة للتواصل بين مختلف الثقافات وتساهم في نشر الوعي بالقضايا المجتمعية .

تحسين جودة الحياة: فممارسة الفنون تُساهم في تحسين الحالة النفسية للأفراد وتهذيب الذوق العام، مما يرتقي بجودة الحياة .

دور الصناعة الثقافية في تحفيز الاقتصاد الوطني : تلعب الصناعات الثقافية دورًا حيويًا في تحفيز الاقتصاد الوطني من خلال خلق فرص عمل، وتعزيز التنمية المستدامة، وزيادة الناتج المحلي الإجمالي، وجذب السياحة، ودعم الإبداع والابتكار، لأنها تعمل كمحرك لخلق الثروة من خلال استغلال الملكية الفكرية، ورفع القدرة التنافسية للدولة، وتعزيز الروابط المجتمعية، وتثري حياة المواطنين .

الفرق بين "الثقافة كمنتج رمزي" و"الصناعة كمنتج ثقافي" : يكمن هذا الفرق في المنظور والمفهوم الأساسي، فالمدلول الأول يشير إلى عناصر الثقافة نفسها كرموز ذات معنى اجتماعي ودلالة جماعية لا تنفصل عن طريقة عيش مجتمع ما، بينما المدلول الثاني يركز على السلع والخدمات المنتَجة صناعياً والتي تحمل قيمة ثقافية أو فنية، مثل الأفلام والموسيقى والمعارض، والتي أصبحت في حد ذاتها جزءًا من الأنشطة الاقتصادية والثقافية .

الثقافة كمنتج رمزي: تشمل القيم والمعتقدات واللغة والأعراف والرموز التي تشكل "طريقة عيش" جماعة معينة، والهدف منها فهم الرموز والدلالات التي يتبادلها أفراد المجتمع لفهم سلوكياتهم ومعتقداتهم الجماعية، وتتكون من الأفكار، الأدوات، الطقوس، اللغة، وغيرها من العناصر التي يعيش بها أفراد المجتمع ويتفاعلون من خلالها .

الصناعة كمنتج ثقافي (الصناعات الثقافية): هي الأنشطة الاقتصادية التي تنشأ بدمج إنشاء المحتوى الإبداعي وإنتاجه وتسويقه كسلع أو خدمات. والهدف منها توليد المحتوى الثقافي والإبداعي وبيعه وتحويله إلى منتجات يمكن استهلاكها، مثل الفنون، والمتاحف، والإعلام، والأفلام، وتشمل منتجات مثل الفنون الأدائية، الفنون البصرية، الأفلام، التسجيلات الصوتية، المتاحف، المكتبات.

منصات الثقافة الرقمية وريادة الأعمال الثقافية

مع تطور التكنولوجيا الرقمية، ظهرت منصات ثقافية رقمية تتيح الوصول إلى المحتوى الثقافي والفني بطرق مبتكرة، مثل تطبيقات الكتب الرقمية، المتاحف الافتراضية، منصات الفيديو والفنون الرقمية، ومنصات التدريب على الحرف والفنون التقليدية.

تساهم هذه المنصات في:

تعزيز الوصول إلى الثقافة لجميع الفئات العمرية والجغرافية.

دعم ريادة الأعمال الثقافية من خلال تمكين الأفراد من عرض منتجاتهم الثقافية على نطاق أوسع.

تطوير أساليب التعليم الفني والثقافي عبر الدورات الافتراضية والتدريب عن بُعد.

الذكاء الاصطناعي والثقافة

يعد الذكاء الاصطناعي أداة جديدة لإنتاج المحتوى الثقافي والإبداعي، إذ يساهم في:

إنتاج الموسيقى والفنون الرقمية.

ترجمة المحتوى الثقافي للغات متعددة.

تحليل التوجهات الثقافية والسوقية لدعم صناع القرار في المجال الثقافي.

لكن استخدام الذكاء الاصطناعي في الثقافة يحتاج إلى:

وضع سياسات أخلاقية واضحة.

مراعاة حقوق الملكية الفكرية.

حماية الهوية الثقافية من التجانس أو الطمس.

السياسات الثقافية ودور الحكومات والمنظمات الدولية

تسهم السياسات الثقافية في دعم الإبداع وحماية التراث وتطوير الصناعات الثقافية، من خلال:

تقديم الدعم المالي والتقني للمشاريع الثقافية.

وضع أطر تشريعية لحماية حقوق الملكية الفكرية.

تشجيع التعاون بين القطاعين العام والخاص.

جهود اليونسكو في دعم الثقافة

تدعم اليونسكو حماية التراث الثقافي المادي وغير المادي، وتعزيز الصناعات الثقافية المحلية، وتشجيع التعليم الثقافي والإبداعي، من خلال برامج:

تسجيل التراث العالمي والمحلي.

دعم الحرف التقليدية والفنون الشعبية.

توفير التمويل والتدريب للمبدعين المحليين.

الصناعات الثقافية في سيناء: نموذج للتنمية المحلية

شهدت سيناء اهتمامًا متزايدًا بالصناعات الثقافية التي تعزز الهوية المحلية، مثل:

الحرف اليدوية التقليدية كالنسيج والخوص والفخار.

الفنون الشعبية مثل الغناء والرقص الشعبي.

مهرجانات ثقافية ومعارض فنية تهدف لجذب السياحة وتعزيز الاقتصاد المحلي.

تساهم هذه المبادرات في:

توفير فرص عمل للشباب والنساء.

صون التراث الثقافي.

تعزيز الاقتصاد المحلي والتنمية المستدامة.

خاتمة المقالة

تعتبر الثقافة والصناعات الثقافية أدوات استراتيجية للتنمية المستدامة، من خلال:

الحفاظ على الهوية الثقافية ونقل التراث للأجيال القادمة.

دعم الاقتصاد المحلي وتوفير فرص عمل متنوعة.

تعزيز التواصل الاجتماعي والانتماء المجتمعي.

مواكبة التطور التكنولوجي والرقمي بما يتيح الوصول الواسع للثقافة.

لذلك، فإن دمج الحرف التقليدية والفنون والمسرح والمحتوى الرقمي في سياسات التنمية الثقافية يمثل فرصة حقيقية لتحقيق التنمية الشاملة، مع ضرورة وضع سياسات حماية التراث ودعم الإبداع والابتكار، لضمان استمرار الثقافة كمورد اقتصادي واجتماعي مستدام.

وبهذا نكون قد أكملنا بحثنا عن الصناعات الثقافية والإبداعية وأبعادها التنموية .

ونرجو أن نكون قد ألممنا بكل النقاط المطلوبة في هذا البحث، ووفَّقنا في الوصول إلى الغرض المأمول منه، وأن نكون قد حققنا الأمل المنشود منه، والله الموفق.

التّحوُّلُ بوصفِهِ فرضَ عينٍ :
كيفَ يُطهِّرُ الألمُ روحَ الوطن؟!

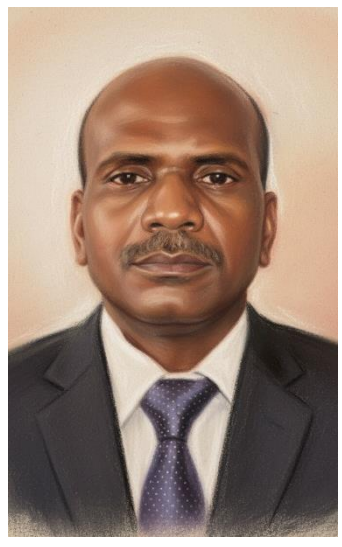

د. أبشر الحاج
كاتب و أستاذ الأدب الإنجليزي . السودان

في اللَّحظاتِ التي تنطفئُ فيها الأضواءُ في المدن، ويعمُّ الصمتُ فوق البيوتِ التي كانت عامرةً بالأُلفة، يظهرُ للإنسانِ وجهُ العالمِ كما لم يره من قبل. فالحربُ ليست صراعًا بين قوَّتَين، بل هي تجلٍّ من تجلّياتِ الحقيقةِ حين تريدُ أن تُرِيَ الخلقَ ما احتجبَ عن أبصارهم. كأنَّ الوجودَ نفسَه يكشفُ سترَه، فيبدو لكلِّ إنسانٍ ما كان خفيًّا في قلبه. فمن الناسِ من يرى نورًا كان مُعطَّلًا، ومنهم من يرى ظلمًا كان مُغلَّفًا بالعادَة، ومنهم من لا يرى إلّا نفسَه في مرآةٍ بلا زخرف.

وهكذا انكشفت ـــ في السُّودان ـــ أمراضٌ لم تُولَد مع الحرب، بل خرجت من خزائنِ النُّفوسِ التي كانت مغلقة. فالطَّمعُ الذي تفجَّر في بعضِ القلوبِ لم يكن ضيفًا جديدًا؛ إنما كان نائمًا تحت طبقاتٍ من الكلامِ الجميل. والذين استغلُّوا الوافدين من مناطقِ الألمِ والحرب، لم يخترعوا أنانيَّتهم في لحظةِ السقوط، بل كشفوا عنها حين زالت الزِّينةُ وانفكَّ القيد. وكما قال ابن عربي: «إذا تبدَّلت الأحوالُ ظهرت الأعيانُ على حقائقها»؛ أي إنَّ الإنسانَ لا يُرى على حقيقتِه إلّا حين يُختبَر بالضَّرورة.

لقد علت أسعارُ إيجارِ المنازل، كأنها لا تسكنُها أرواحُ بشر، وارتفعت قيمةُ السِّلع، كأنَّ الجائعَ ليس صورةً من صورِنا. بدا بعضُ الناس وكأنهم يعيشون في عالمٍ منفصلٍ عن الحزنِ الممتدِّ حولهم. وهذا ليس حدثًا اقتصاديًّا فحسب، بل هو سؤالٌ وجوديٌّ: كيف يمكنُ للإنسانِ أن يرى أخاه مُنكسِرًا، ثم يبحثَ في انكساره عن فائدة؟ وكيف تتحوَّل الحاجةُ الإنسانيَّةُ إلى سوق، والنَّجاةُ إلى سلعة؟

ومع ذلك، فإنَّ الوجود ـــ الذي يُربّي عبادَه بين القبضِ والبسط ـــ لا يتركُ القلوبَ بلا إشارة. ففي

اللَّحظةِ التي خُيِّل فيها أنَّ الظُّلمةَ اكتملت، انسَاب نورٌ خافتٌ من ناحيةٍ بعيدة، كأنَّ الرَّحمةَ تنهضُ من أطرافِ البلاد لتُذكِّرَ الناسَ بأنَّ السلامَ يبدأ همسًا قبل أن يصير صوتًا. لم يكن ذلك النورُ حدثًا سياسيًّا يمكن قياسه، بل كان كشعاعٍ داخليٍّ يلمعُ في صدورِ من بقي لديهم من الفِطرةِ ما يجعلهم يُدركون أنَّ الشَّقاءَ ليس قدرًا، وأنَّ بابَ السَّكينة يُفتَح أوَّلًا في الضَّمير قبل أن يُفتَح على طاولةِ المفاوضات. وكأنَّ هذا الوميضَ يدعو النُّفوسَ إلى أن تُطهِّرَ نفسها قبل أن تُطالبَ العالمَ بأن يتغيَّر.

في الرُّؤيةِ العِرفانيَّة، ليس السُّلوكُ مجرَّدَ فعلٍ، بل هو كشفٌ لمراتبِ الوعي. فالطَّمعُ ليس رغبةً في المال وحسب، بل هو غيابٌ عن حقيقةِ أنَّ «الآخر» ليس آخرَ، بل هو أنتَ في صورةٍ مختلفة. والاستغلالُ ليس مجرَّدَ انتهازِ فرصة، بل فقدانٌ للرابطةِ التي تربطُ الإنسانَ بالإنسان: رابطةِ الأصلِ الواحد، والنَّفخةِ الواحدة، والامتحانِ الواحد. ولذلك قال أهلُ الحكمة: من رأى الخلقَ رأى الحقَّ، ومن رأى الحقَّ لم يحتمل ظلمَ الخلق.

الحرب — بهذا المعنى — ليست فقط دمارًا؛ إنَّها امتحانٌ لمقدارِ الحضورِ الإنسانيِّ فينا. فهناك من رأى في الوافدِ أخًا يجبُ أن يُخفِّفَ عنه، وهناك من رأى فيه فرصةً لزيادةِ رصيده من الأرباح. الأوَّلُ كان ينظرُ بعينِ القلب، والثاني بعينِ الغفلة. وما بين العينين مسافةٌ لا تُقاس بالأمتار، بل بالأنفاس.

وليس الغرضُ من هذه التَّجربة أن يُدانَ أحد، بل أن يُكشَفَ السِّتارُ عن الحقيقةِ التي غابت طويلًا. فالمجتمعُ الذي يخرجُ من الحرب كما دخلها، لم يرَ في المأساة إلَّا حدثًا خارجيًّا، ولم يستمع إلى قولِ الحق:

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾.

وهذه الآيةُ ليست حكمًا أخلاقيًّا، بل قانونٌ من قوانينِ الوجود؛ لأنَّ العالمَ يتشكَّلُ على صورةِ ما في النُّفوس، فإذا قوي النُّورُ قوي البناء، وإذا ضعفت الرَّحمةُ ضعفت البلادُ والقلوبُ معًا.

إنَّ المطلوبَ بعد هذه التَّجربة ليس أن نقول: «نعود كما كنَّا»، بل أن نعودَ كما ينبغي أن نكون. أن نستعيدَ المعنى الذي اندثر تحت الرَّماد: معنى المشاركة، ومعنى الأُخوَّة، ومعنى أنَّ الإنسانَ ليس مجموعةَ حاجات، بل هو سرٌّ إلهيٌّ يمشي على الأرض. ومن رأى الإنسانَ بهذه الرُّؤية لا يطمعُ فيه، ولا يستغلُّه، ولا يجعلُ من ألمه طريقًا لمنفعته.

وإذا أراد السُّودان أن ينهض حقًّا، فعليه أن يبدأ من هنا: من إعادةِ تأويلِ العلاقاتِ البشريَّة، ومن رفعِ الكُلْفة بين القلبِ والقلب، ومن إدراكِ أنَّ المجتمعَ ليس طرقًا وجسورًا، بل شبكةً من الرَّحمةِ المتبادلة. وأنَّ ما يتغيَّر في الحجر لا قيمةَ له إذا بقيت النُّفوسُ على حالها. فالعُمرانُ الحقيقيُّ ما كان في الداخل، والبناءُ الظَّاهرُ لا يدوم إن لم تكن أساساتُه في الوجدان، وإلّا لَمَا سكنت عماراتُ الخرطوم يومًا ما... القطط!

وهكذا تُصبح الحرب — على قسوتها — بابًا إلى معرفةٍ جديدة؛ لا معرفةً بالآخر، بل معرفةً بالذَّات. معرفةً تجعل الإنسانَ يقف أمام نفسِه وقوفَ العارف، يسألها: ما الذي انكشف فيك حين انكشف كلُّ شيء؟ فإن أجابت بالرَّحمة، فذلك نور. وإن أجابت بالأنانيَّة، فذلك داعٍ إلى التَّوبةِ الوجوديَّة التي تُغيِّر مسارَ الحياة. فالإنسانُ لا يُدان لأنَّه أخطأ، بل يتوقَّف حين يرفض أن يرى خطأه.

وإذا تحقَّقت هذه الرُّؤية، يمكن للمجتمع أن يخرجَ من الحرب خروجًا جديدًا؛ لا خروجَ النَّاجي من تحت الرُّكام، بل خروجَ السَّائر من ظُلمةٍ إلى نور. أمَّا من يعود بعد هذه التَّجربة إلى ما كان عليه قبلها، فإنَّه — كما يقول ابن عربي — رأى الصُّورة وغاب عن المعنى. والمعنى هو جوهرُ كلِّ تحوُّل: ما لم يتغيَّر في الإنسان، لن يتغيَّر في العالم.

د. أسامة محمد
كاتب. باحث. مصر

رنين الوفاء

حين يهتز القلب على تردد الحب

.. في عام 1665، لاحظ الفيزيائي والهولندي العبقري "كريستيان هوغنس" ظاهرة غريبة داخل ورشته؛ فقد علق ساعتين بندوليتين على نفس العارضة الخشبية - .بعد تحريكهما بشكل عشوائي، عاد ليجدهما بعد فترة قصيرة تتأرجحان بتزامن تام ومذهل، ولكنهما في اتجاهين متعاكسين، وكأن هناك "خيطاً خفياً" يربط بينهما ويأمر إحداهما بمواكبة الأخرى - .أطلق العلم الحديث على هذه الظاهرة ومثيلاتها في عالم الصوتيات اسم "الرنين التعاطفي(Sympathetic Resonance) "، وهي حالة فيزيائية مدهشة تحدث عندما يتم طرق شوكة رنانة بتردد معين - ..فتبدأ شوكة أخرى صامتة تماماً وموضوعة على مسافة منها بالاهتزاز وإصدار الصوت دون أن يلمسها أحد، فقط لأنها مضبوطة على نفس التردد الدقيق للأولى، فتنتقل الموجات عبر الهواء لتجد "شبيهاً" يستقبلها بلهفة - .فتتحول الطاقة الكامنة في الصمت إلى صدى مسموع، وكأن الشوكة الصامتة كانت تنتظر نداءً خفيًا لا يدركه سواها لتنطق بما في جوفها من حنين - ...

وهذا يا صديقي ليس مجرد قانون فيزياء فقط يحكم المعادن والهواء، بل يكاد يكون القانون الذي يحكم أرواح المحبين، - وربما كان أيضاً تفسيرا لما حدث في قلب سيد الخلق ﷺ عندما طرق سمعه صوتٌ قادم من الماضي البعيد .. .دعني آخذك إلى المدينة المنورة، إلى بيت النبوة، حيث السكينة تظلل المكان، لنتأمل لحظةً اهتزت فيها "الشوكة الرنانة" - إن صح هذا التعبير - في قلب النبي ﷺ اهتزازاً عنيفاً لمجرد سماع "نغمة" مألوفة - .فقد روت السيدة عائشة رضي الله عنها أن "هالة بنت خويلد" - أخت خديجة رضي الله عنها - استأذنت بالدخول على رسول الله ﷺ، والمفاجأة لم تكن في الزيارة، بل في "نبرة الصوت" وطريقة الاستئذان التي تطابقت تماماً مع نبرة وطريقة الراحلة خديجة رضي الله عنها - .فما كان من النبي ﷺ إلا أن ارتاح لذلك - أي هشّ واهتز قلبه تأثراً - وقال بصوت يفيض لهفة: "اللهم هالة - "!وفي تلك اللحظة الخاطفة، لم يكن النبي ﷺ يرى هالة أمامه فحسب، بل كان قلبه يستقبل موجات "رنين تعاطفي" قادمة من زمن مكة... (بالطبع هذا تشابه تصويري لا تعليل سببي) -من أيام السند والمواساة، فصوت الأخت كان المفتاح الذي أدار محرك الذكريات الكبرى، وأثبت لنا أن الحب الصادق يترك في الروح شيفرة لا يفك رموزها إلا ما شابه المحبوب أو دنا منه .. . والآن دعني أشرح لك يا رفيق الفكر عمق هذا المشهد؛ -إن قول النبي ﷺ "اللهم هالة" لم يكن مجرد ترحيب عابر بضيفة، بل كان ابتهاجاً ونداء فرحٍ

مشوباً بألم الفقد، لقد كان ﷺ مضبوطاً على "تردد خديجة" رضي الله عنها ، -ذلك التردد الذي لم تستطع سنوات الفراق ولا مشاغل تأسيس الدولة ولا المعارك أن تغيره أو تخمده، وحينما التقطت أذناه الشريفتان تلك الذبذبات الصوتية التي تحمل ما يشبه صوت خديجة رضي الله عنها عبر حنجرة أختها، حدثت الاستجابة الفورية، -وهذا يعلمنا أن الوفاء ليس مجرد قرار عقلي نتخذه بالبقاء على العهد، بل هو استجابة فطرية لا إرادية تحدث في أعماق التكوين النفسي للإنسان النبيل، حيث تظل حواسه يقظة لكل ما يمت بصلة لمن أحب، حتى وإن كان مجرد ظل للصوت أو طيف للحركة .. . تخيل يا صديقي، أن هذا الحب الجارف لخديجة رضي الله عنها، والذي استيقظ بدخول هالة، أثار غيرة السيدة عائشة رضي الله عنها، وهي الزوجة الحبيبة الشابة - ..فقالت كلمتها الشهيرة التي تعبر عن فطرة الأنثى" :ما تذكر من عجوز من عجائز قريش... قد أبدلك الله خيراً منها - ."وهنا يتجلى الموقف الحجاجي الأعظم في تاريخ الوفاء، إذ لم يصمت النبي ﷺ مداراةً لزوجته الحاضرة، ولم يجامل على حساب الغائبة، بل انتفض ليصحح المفهوم، وكأنه يقول إن الحب ليس بضاعة تُستبدل، ولا هو صفقة تجارية نبحث فيها عن "الأحدث" أو "الأفضل"، بل هو رابطة مقدسة لا يمحوها التراب، فجاء رده ﷺ حاسماً وبليغاً" :ما أبدلني الله خيراً منها"، ليبني بذلك قاعدة أخلاقية جديدة للبشرية جمعاء . ..لنحلل حجته ﷺ في دفاعه عن ذكرى خديجة، لقد عدد فضائلها لا بجمالها أو حسبها، بل بمواقفها" :صدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد إذ حرمني من غيرها - " لاحظ هنا يا صديقي أن "الرنين" الذي استشعره النبي ﷺ عند سماع هالة لم يكن رنيناً عاطفياً مجرداً، بل كان رنيناً ممتزجاً بالامتنان العميق، إنه حب "التي كانت تشاركه في المبدأ"، حب الموقف الصعب - . فالرجال، والعظماء منهم خاصة، لا ينسون أبداً اليد التي امتدت لهم حينما انقبضت أيدي العالمين - .وصوت هالة لم يذكر النبي ﷺ بامرأة أحبها فحسب، بل ذكره بالحصن الذي آواه حين طارده الخوف، وبالقلب الذي صدقه حين كذبه القريب والبعيد .. .النبي ﷺ لم يتعامل مع الماضي كعبء يجب التخلص منه للعيش في الحاضر، وهو ما تدعو إليه كثير من نظريات النفس الحديثة التي تقدس "تجاوز الماضي (Moving on)" - .بل علمنا النبي ﷺ أن الماضي النبيل هو وقود الحاضر، وأن استحضار ذكرى الراحلين والاحتفاء بمن يذكرنا بهم (كهالة) هو نوع من "القيم الإيمانية القلبية" القائمة على الشكر، فالوفاء لخديجة هو في جوهره وفاء لله الذي رزقه إياها - .ولهذا قال في حديث آخر بعبارة تختصر كل قواميس الحب الطاهر : "إني رُزقت حبها"، جاعلاً الحب رزقاً وهبة سماوية، وليس كسباً بشرياً - .وما كان من الله لا يقطعه الموت .. .دعنا نغوص أعمق في دلالة "اللهم هالة"، لنجد أن هذا الذي أصاب النبي ﷺ يثبت بشريته العذبة، فهو لم يكن كائناً ملائكياً موجّه المشاعر، بل كان إنساناً يطرب للصوت المألوف، ويحن للعهد القديم، وتأخذه الذكريات - .وهذا ما يجعله ﷺ القدوة الأكمل، ليعلمنا أن القوة لا تعني القسوة، وأن النبوة لا تلغي العاطفة، وأن أعظم الرجال هو الذي يظل قلبه غضاً طرياً، يهتز لذكرى زوجته بعد سنوات من رحيلها، فيكرم أختها، ويصل صديقاتها، ويرحب بكل ما يمت إليها بصلة، وكأنه يجمع فتات العطر المتبقي في الزجاجة الفارغة .. .انظر كيف تحول هذا الحب إلى "سلوك اجتماعي" راقٍ، فالنبي ﷺ لم يكتفِ بالمشاعر الباطنة، بل كان إذا ذبح الشاة يقول: "أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة - "وهذا يا صديقي هو "البرهان العملي"، فالحب الذي لا يتحول إلى إكرام لمن يحبهم المحبوب هو حب ناقص، لقد كان ﷺ يرى في هالة وصويحبات خديجة امتداداً لوجودها، فكان يكرمهن وكأنه يكرم خديجة نفسها - .وهذا درس بليغ في "جغرافية الحب" التي لا تعترف بحدود القبر، بل تتمدد لتشمل كل من كان في دائرة المحبوب، فصار إكرام هالة واجباً عاطفياً، وصار سماع صوتها عيداً للذاكرة .. .ولعلنا يا صديقي نتساءل: لماذا "هالة" بالتحديد؟ -لماذا لم يكن شخصاً آخر؟ -هنا تكمن حكمةٌ من حِكَم

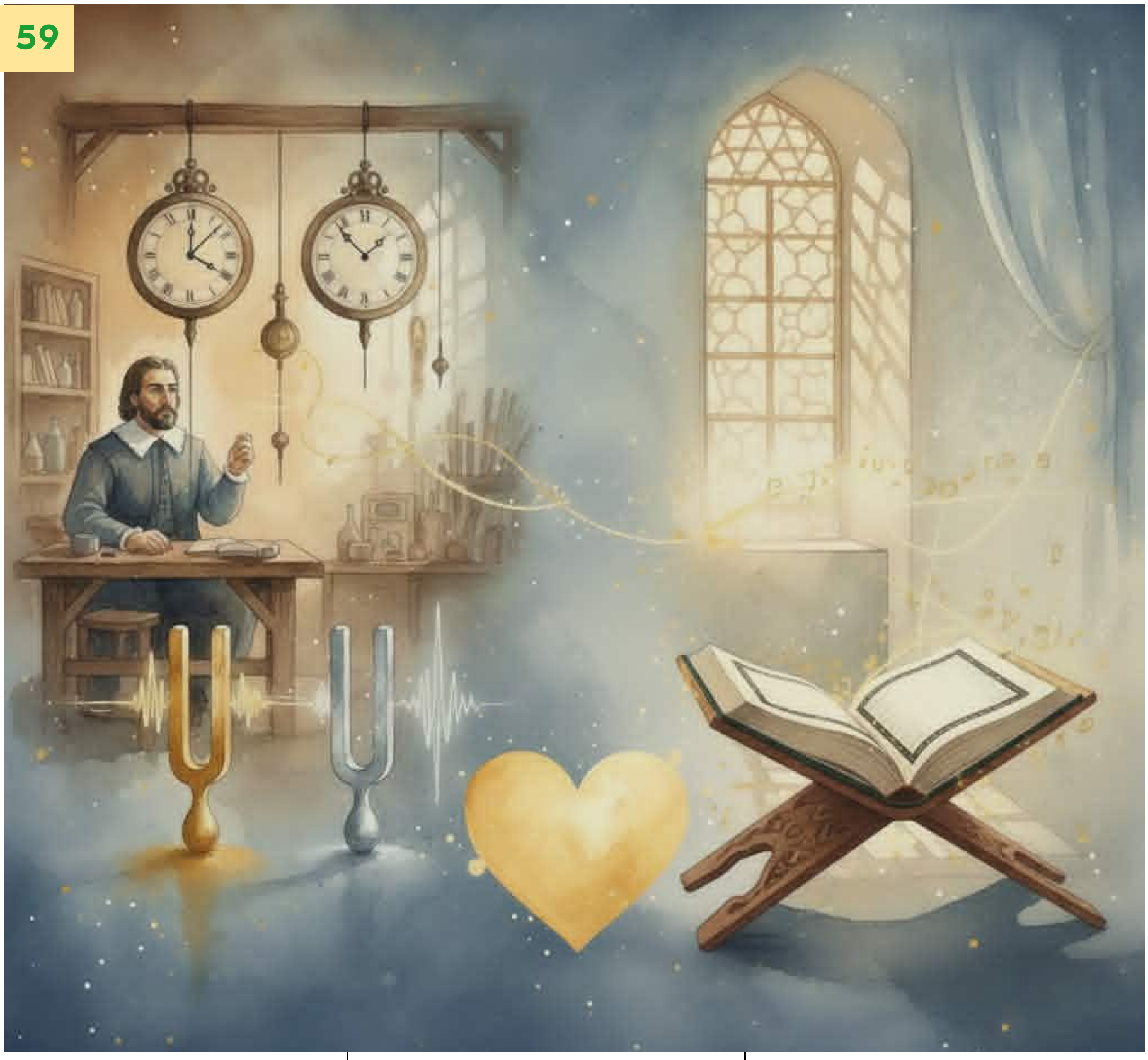

القدر في حفظ التفاصيل الدقيقة، فالله سبحانه وتعالى أبقى للنبي ﷺ هذه "النافذة السمعية" المتمثلة في هالة، لتكون سلوى له، ولتكون اختباراً لوفائه، وشاهداً لنا على صدقه - .فلو نسي النبي ﷺ خديجة وانشغل بفتوحاته وزوجاته الجديدات، لقلنا إنه قائد عظيم لكنه زوج عادي، أما وقد حفظ العهد للصوت والظل والمشية - ..فقد أثبت صلى الله عليه وسلم أنه "الإنسان الكامل" الذي لا يطغى جانب من حياته على جانب، ولا ينسيه مجد الحاضر فضل الماضي .. .ربما كان الدرس الذي نخرج به من تتبع "رنين"

هذا الحب النبوي، هو أننا بحاجة لإعادة "ضبط" أوتار قلوبنا، - فكثير منا اليوم يعيش في صخب ينسيه من أحسنوا إليه، وتنقطع علاقاتنا بمجرد غياب الأشخاص - .لكن النبي ﷺ يدعونا عبر هذا الموقف لأن نكون أوفياء "للآثار"، أن نحب رائحة المكان الذي كان فيه أحبابنا، ونكرم أشباههم، ونفرح بمن يذكرنا بهم، فالحب الحقيقي هو الذي يجعل كل شيء في الوجود يذكرك بالمحبوب، حتى نبرة صوت عابرة من أختٍ زائرة .. .ختاماً يا صديقي، وكما بدأت تلك الشوكة الرنانة في ورشة "هوغنس" بالغناء دون

أن يلمسها أحد، فقط لأنها وجدت من يماثلها في التردد - ..فإن قلب النبي ﷺ ظل يغني بحب خديجة حتى آخر العمر، وكلما مرت "موجة" تشبه خديجة - كصوت هالة - اهتز ذلك الوتر الطاهر؛ -لذا أسألك وأنا أضع يدي على كتفك مودعاً: هل في قلبك "شوكة رنانة" مضبوطة على تردد الوفاء لمن أحبوك وصدقوك؟ -كن وفياً رحيما، فالموت يغيب الأجساد، لكن "رنين" الأرواح الصادقة يظل يتردد بيننا إلى الأبد، فاجعل قلبك صدىً للجميل، ولا تقطع الوصل ما دام في العمر بقية، وما دام في الصوت بقية.

كيمياء الخَلق وقداسة الإنسان والوطن

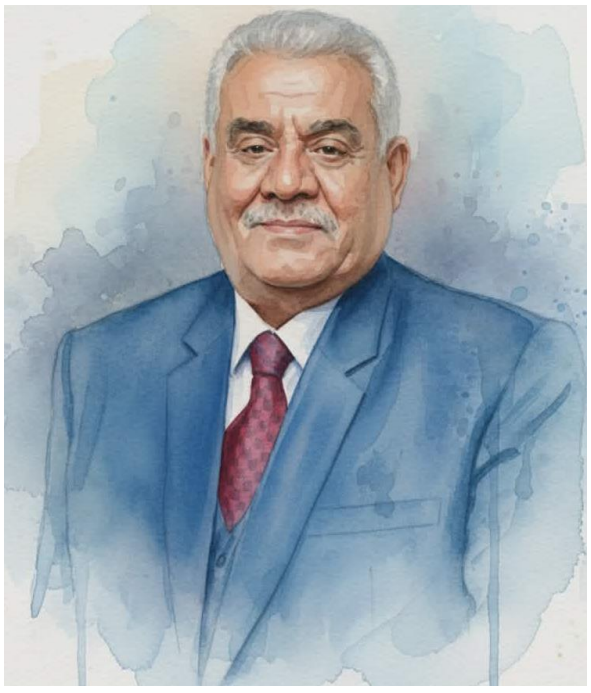

البرُوفيسَوُر

دانح الحسناوي

أكاديمي عراقي مقيم في اليمن

تقوم أجسام البشر بصناعة مواد كيميائية معقّدة من مركّبات وجزيئات متعدّدة، من أبرزها ما يُعرف بالبروتينات.

والبروتينات جزيئات عملاقة تُصنّعها جزيئات الحمض النووي الريبوزي (RNA) من وحدات بنائية أصغر هي الأحماض الأمينية.

دعونا نتأمّل هذه القدرات العجيبة على الخَلق، ونتفحّص هذا الإعجاز المدهش.

أجسامنا تصنع بروتينات الأظافر، وتضعها في أماكنها المحدّدة بدقّة.

وتصنع بروتينات أخرى تظهر للعيان على هيئة شعر، في مواضع خُصّصت لها دون غيرها.

كما تُنتج بروتينات خاصة بالجلد، ولو دقّقنا النظر لوجدنا أن الجلد نفسه أنواع مختلفة، وليس نوعًا واحدًا.

وكذلك تتكوّن بروتينات مخصّصة للطحال، وأخرى للكبد، والقلب، والرئتين، والمعدة، والجهاز الهضمي، إضافة إلى تراكيب دقيقة للأذنين والعينين.

وكل هذه الأنواع، وغيرها كثير، تُنسّق وتُوضَع فوق وتحت الهيكل العام للإنسان، ذكرًا كان أو أنثى.

أما العظام والغضاريف فهي الأخرى تراكيب مدهشة من مواد بروتينية، وأملاح، وعناصر متداخلة في توازن محكم.

أكتب هذا الكلام وأنا أتأمّل في قدرات الله في خَلقنا، وفي الإعجاز الرباني الخارق، المتفرّد، الذي يتجلّى في أدق تفاصيل أجسادنا.

وأتساءل:

هل يعرف الذين يعتدون على الله وعلى الناس من خلق الله، شيئًا عن كيمياء الحياة البشرية والحيوانية والنباتية؟

هل يدرك اللصوص والسُّرّاق، والقتلة والخونة، والمرتزقة والعملاء، هذه القدرات الإلهية المودَعة في الإنسان، حتى يتجرؤوا على انتهاكها والاعتداء عليها؟

لقد وهبنا الله سبحانه، إلى جانب نعمة الخَلق، أوطانًا في الأرض، وأودع فيها خيرات وثروات كثيرة لا تُعدّ ولا تُحصى.

أرض الوطن مختلفة، خُلقت لتكون مهدًا للإنسان.

وهواء الوطن مختلف، صنعه الله من جزيئات كيميائية متنوّعة، ليكون صالحًا للحياة.

وشرف الأوطان مقدّس، كما أن شرف الإنسان مقدّس، بأمر الله.

فهل يعتبر الجاحدون والمتجبّرون؟

وهل يتذكّرون أن الطاقة الساكنة في خلاياهم إنما هي طاقة ناتجة عن تفاعلات كيميائية، ستتوقّف متى شاء الله؟

لعلّهم يهتدون.

المرأة العاملة في ظل الحروب

تحديات من أجل العيش بكرامة

مي لقمان
صحفية . كاتبة .
معدة و مقدمة برامج . السودان

الحرب ليست مجرد حدث يقع في ساحات المعارك، بل هي قوة مدمّرة تضرب مباشرة في قلب المجتمع، في نواته الأولى والأساسية: الأسرة بمختلف مكوناتها وأفرادها. إنها عملية تفكيك ممنهجة للروابط والنسيج الاجتماعي، وللأدوار والهويات التي كانت تُعد من المسلّمات.

وقد لجأت الكثير من النساء والفتيات إلى العمل في مختلف المهن، بعيدًا عن مجالاتهن الأصلية، لمجابهة متطلبات وظروف الحياة الجديدة التي فرضتها عليهن الحروب، بعد أن وجدن أنفسهن ضحايا لها نتيجة فقدان الرجال من عائلاتهن، سواء كانوا آباءً أو إخوة أو أزواجًا، وذلك لكفاية أنفسهن وأسرهن شرّ الحاجة والاعتماد على الغير.

وغالبًا ما يُتوقّع من النساء العاملات، خصوصًا إن كانت المرأة زوجة أو أمًّا، أن يبذلن جهدًا مضاعفًا للموازنة بين المسؤوليات المختلفة الملقاة على عاتقهن، وإعطاء كل مسؤولية حقّها. وفي الحقيقة، تقوم النساء العاملات يوميًّا، في مختلف

المجتمعات ودول العالم، بعمل رائع في مجال موازنةً المسؤوليات، رغم ما يتعرّضن له من ضغوط كبيرة في سبيل الوصول إلى معادلة سليمة بين العمل والأسرة.

ويُعد عمل المرأة من الحقوق الاجتماعية التي أقرّها الإسلام، إذ لا يوجد في الشرع الإسلامي ما يمنع المرأة من العمل في أي مجال يباح للرجل العمل فيه. فالعبرة في الأحكام الشرعية المتعلقة بعمل المرأة ليست بالعمل ذاته ما دام مشروعًا ومباحًا، وإنما بما يحيط به من ظروف. فإذا كانت طبيعة العمل أو مشقته تفوق قدرة المرأة البدنية أو النفسية، كالقتال في الحروب أو الأعمال الشاقة كشق الطرق أو التعدين، فإنها – كقاعدة عامة – لا تُكلَّف بها، مع عدم وجود مانع شرعي مطلق إذا قامت بها. فالمعيار الأساس هو مراعاة قدرتها وما قد يعرّضها لمشقة زائدة أو ضرر في بدنها أو نفسها أو كرامتها، وهو ما يرتبط بمصلحة المرأة والمجتمع معًا.

وقد مارست المرأة في عصر النبوة مختلف الأعمال؛ من شؤون البيت والرعي، إلى الزراعة وجذاذ النخل، وهي أعمال شاقة، كما عملت بعض النساء في الخدمة المنزلية، وأدارت أخريات أعمالًا حرفية كالغزل والنسيج وبيع العطور. وشاركت المرأة المسلمة حتى في الجهاد بما يتناسب مع قدراتها وأهليتها، إذ صحبت النساء الجيش الإسلامي في بداياته، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم على رأس ذلك الجيش.

ولا تُفهم حقوق المرأة، ولا حتى حقوق الرجل، بمعزل عن الأسرة كوحدة متكاملة تضم الزوج والزوجة والأبناء. ولذلك فإن عمل المرأة مشروط بألا يترتب عليه ضياع مصلحة الأبناء بتركهم دون رعاية، خاصة في مراحل حاجتهم إليها. ويظل دور المرأة الأساس، المنسجم مع الفطرة الإنسانية وخصائصها، هو رعاية البيت وتربية الأبناء، وهو تقسيم للأدوار يهدف إلى تحقيق مصلحة الأسرة والمجتمع، لا إلى التمييز على أساس الجنس. فالرجل قادر على المشاركة في شؤون المنزل، والمرأة قادرة على المشاركة خارجه، والعبرة بما يحقق الصالح العام.

فالمرأة ليست معزولة عن الرجل عزلة تامة، فلها حق التعليم وحق العمل، غير أن مشاركتها في الحياة الاجتماعية خارج المنزل ما تزال أقل من مشاركة الرجل في كثير من المجتمعات، رغم امتلاكها رسالة متميزة وطاقة خاصة تؤهلها لأداء أدوار محورية في المجتمع.

وقد يُبدي البعض تخوّفًا كبيرًا من قدرة المرأة العاملة، خصوصًا الأم، على تحقيق التوازن بين عملها وحياتها الأسرية والزوجية والشخصية. إلا أن العديد من الدراسات والبحوث تشير إلى أن النساء العاملات أكثر سعادة في حياتهن، حيث يساهم تحقيق الإنجازات المهنية في تعزيز شعور الرضا النفسي لديهن، وهو ما ينعكس إيجابًا على الأسرة والأبناء.

ويعود هذا التخوّف إلى الاعتقاد السائد في كثير من المجتمعات بأن المرأة هي المسؤولة الرئيسة عن تربية الأبناء ورعاية المنزل، وربما الوحيدة في ذلك، ما يحمّلها أعباء وضغوطًا لا تنتهي. فمتطلبات العمل خارج المنزل لا تقل عن مسؤوليات العناية بالأسرة، وكما تقول كثير من النساء: «العمر يخلص، وشغل البيت ما يخلص».

ومن هنا تبرز أهمية دور المؤسسات التربوية والاجتماعية في تغيير هذا التصوّر، وإشراك الرجل بوصفه أبًا وشريك حياة في تحمّل مسؤوليات الأسرة، بما يحقق توازنًا صحيًّا في توزيع الأدوار داخل البيت.

وتشير دراسات حديثة إلى أن النساء العاملات يتمتعن بصحة أفضل مقارنة بغير العاملات. فقد أكدت دراسات طبية، أُجريت في الهند وألمانيا، أن النساء اللواتي عملن لفترات طويلة خلال سن الرشد أظهرن تدهورًا أقل في صحتهن الجسدية مع التقدم في العمر، كما كن أقل عرضة للاكتئاب وأكثر تمتّعًا بصحة نفسية مستقرة. وقد شملت إحدى الدراسات أكثر من 5100 امرأة تتراوح أعمارهن بين 30 و44 عامًا، وأظهرت النتائج أن العمل المستمر لمدة عشرين عامًا أو أكثر يرتبط ارتباطًا إيجابيًّا بالصحة الجسدية والعقلية في مراحل العمر المتقدمة.

وينطبق هذا الواقع على كثير من النساء في الوطن العربي، خاصة في البلدان التي أنهكتها الحروب. وقد تميّزت النساء والفتيات السودانيات على وجه الخصوص بالهمة والنشاط، وخضن مختلف مجالات العمل العام والخاص، وأصبحن واجهة مشرّفة لبلادهن في الدول التي لجأن إليها هربًا من ويلات الحرب، مثل مصر والسعودية والإمارات وكينيا ورواندا وغيرها.

عملت هؤلاء الفتيات في العيادات، وصالونات التجميل، والمقاهي، والمطاعم، وفي مختلف المهن، سواء أونلاين أو أوفلاين، في دوام قد يتجاوز اثنتي عشرة ساعة يوميًّا، مقابل أجر زهيد، ومع ذلك حملن مسؤولية إعالة أسرهن، وتحمّلن أعباء تفوق أعمارهن، وواصلت كثيرات منهن الدراسة إلى جانب هذا العمل الشاق.

إنها الحرب التي غيّرت فكر ومفهوم الكثير من النساء والفتيات، ودفعت بهن إلى واجهة الكفاح من أجل العيش بكرامة.

نظرات عميقة في سورة "يوسف"
"الحزن أنموذجا "..!!

أبو زكريا..محمد عبد الودود
أكاديمي . باحث . اليمن

يعقوب عليه السلام... نبيّ الله الكريم، ابن الكريم، بن الكريم، وأبو الكريم.

على حزنه العميق مدار مقالتي، وعلى فلك قصته الأسيفة تدور قريحتي!

﴿يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾

﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾

كلماتٌ لها إيقاعها الحزين، وإيحاءها المدوي على الأفئدة!

إنها عاصفة سوداء قاتمة، تهبّ رياحها الهوجاء على القلب، فتعكّر صفو حياته، وتغيّر حاله، وتلبسه لبوس الكرب والهم والغم، فلا ينعم براحة، ولا يهنأ له بال، ولا يقرّ له قرار. فهو يتقلّب بكرةً وأصيلًا في دهاليز الكرب وأقبية الأحزان، كمن قُذف به في غطمط بحرٍ متلاطم، في ليلة سوداء حالكة السواد؛ ليلةٍ استحيا القمر واختبأ

في سديم السماء المظلم، أو كمن هوى في قعر بئرٍ سحيقة، لا نفاذ للضوء إليها!
إن الحزن والهم إذا عمّ القلب واستقرّ في سويدائه، يسقيه كؤوس العلل والآلام، ويعتري جسده الهزال والأسقام.
إن الحزين يتنفس من ثقب إبرة، بل قد لا يذوق النوم، وإن نام فنومٌ قليلٌ مضطرب، مختلّ الراحة، كمن نام في يوم سَبِرة!
إسرائيل عليه السلام قالها بملء فيه، صراحة لا تكنية فيها: (يا أسفى على يوسف)!
قالها بعد سياق ثلاثٍ وثمانين آية من السورة ذاتها.
فيالله!
ما الذي جعل نبيّ الله يكظم حزنه ويخفي كربه، ثم يبثّ شكواه إلى الله بعد ما لا يقل عن ثلاثين عامًا أو ينيف من فقد يوسف؟
على تقدير أن يوسف التقمه الجبّ في غياهبه في الثامنة أو العاشرة من عمره، وعلى تقدير أن الأثيمة راودته وهو ابن سبعة عشر أو ثمانية عشر، أو يزيد أو ينقص... لا أعلم.
وعلى تقدير أنه مكث في السجن بضع سنين؛ سبعًا أو تسعًا، أو على من زاد وقال: اثنتا عشرة سنة أو أربع عشرة، أو قل ما شئت من أقوال المفسرين.
ما الذي جعل نبيّ الله يعقوب عليه السلام يلبسه لبوس الحزن، ويكظمه، ويصحبه في هذا الزمن الطويل؟
وهو القائل بعد أن أتاه الخبر كالصاعقة من أبنائه: ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾.
يا أسفى... والمعنى: يا حزناه!
قال مجاهد: يا جزعاه.
وقال القرطبي: حزن لأنه سلّم يوسف إليهم صغيرًا، فندم على ذلك.
والأسف شدة الحزن على ما فات، فهو ممتلئ القلب من الحزن الشديد، فهو كظيم على وزن فعيل؛ أي حزنًا شديدًا، وهو مع ذلك محبوس في الصدر، ومكروب مغموم لا يظهر كربه، لا يشكو به لأحد إلا لله عز وجل.
واللحظ – أيها القارئ اللبيب – أنه ذكر بثًّا وحزنًا، وأقام بينهما عطفًا لتغايرهما ولو نسبيًا؛ فالبث هو الهمّ الشديد، وما يرد على خاطر المرء من الأشياء المهلكة، وأما الحزن فهو أسف على فائت. فبينهما عموم وخصوص، ولذا قال: ﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾.
قال ابن القيم رحمه الله:
لم يأتِ الحزن في القرآن إلا منهيًّا عنه، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾،
أو منفيًّا، كقوله تعالى: ﴿فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.
وسرّ ذلك أن الحزن أحبّ شيء إلى الشيطان أن يحزن العبد المؤمن ليقطعه عن سيره ويوقفه عن سلوكه. وقد استعاذ منه النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال:
(اللهم إني أعوذ بك من الهم والحزن).
لذا يقول ابن القيم:
الحزن يضعف القلب، ويوهن العزم، ويضرّ الإرادة، ولا شيء أحب إلى الشيطان من حزن المؤمن.
ويقول:
لا تُفسد فرحتك بالقلق، ولا تُفسد عقلك بالتشاؤم، ولا تُفسد نجاحك بالغرور، ولا تُفسد تفاؤل الآخرين بإحباطهم، ولا تُفسد يومك بالنظر إلى الأمس!
حتى كلمة اسم نبيّ الله (يوسف) ذاتها، حُكي فيها ثلاث لغات، مهموزة وغير مهموزة: يوسف، ويؤسف، كيُونُس ويؤنِس، فتحمل في طياتها الحزن والأسف.
ثم تأمّل قوله: (يا أسفى على يوسف)! قالها عليه السلام عندما جاءه خبر فقد بنيامين، وليس يوسف. كان الأحرى والمناسب أن يقول: يا أسفى على بنيامين، لأن مصيبة فقده مستجدّة، وأما يوسف فقد عفا على فقده الدهر وتلاشى ذكره، إلا عند أبيه عليهما السلام، فحزنه مستجدّ كأنه هو المفقود الأخير.
فذكر يوسف في قلب يعقوب له ديمومة لا انقطاع لها، وكلا من بنيامين ويوسف له مكانة في قلب أبيهما، ولكن المصيبة الأخيرة – وهي فقد بنيامين – جدّدت عند يعقوب عليه السلام آلام الماضي، ونكأت جراح الحاضر، وعمّقت جراح الماضي، فقال: يا أسفى على يوسف. وربما يحمل المعنى في طياته: يا أسفى على يوسف وبنيامين.
ولذا قال الله: ﴿وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾.
وهل هذا الابيضاض أتى هكذا من غير سبب؟ بل ظاهره حزن مستدام متلاحق، يستذكر متى ذُكر الفقيد والحبيب، وهو مع ذلك مكظوم في القلب لا يظهر.
وأكد هذا المعنى إخوة يوسف حين قالوا لأبيهم: ﴿تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾.
إن سورة يوسف بها من العبر والعظات الشيء الكثير.
ولا أخفي عليكم أني عمدت إلى قراءتها من المصحف الشريف قراءة تأمّل وتدبّر، لا قراءة تعبّد بالتلاوة فحسب.
إن استحضار المواقف المنصرمة في الوحيين الكريمين ما هو إلا توطيد رسيخ لما عُرف من الحق، وتعميق للمعنى الحقيقي لأخبار الله في القرآن الكريم. فكم قرأنا عن حال يعقوب عليه السلام بعد فقد فلذة كبده يوسف عليه السلام، ولكن لم نستحضر هذه المعاني والمفردات ومعايشتها بكل تفاصيلها الدقيقة، بل كانت قراءات عابرة ومفاهيم عامة، ينقصها التدبر التام والتأمل القاصر لحال كينونة القصة في القرآن.
فدعوةٌ لكم... أستغلّها قبل الانصراف، إلى حثّكم جميعًا على القراءة التأملية، والقراءة العميقة.

د. إدريس البحر
طبيب. كاتب. شاعر
يمني مقيم في مصر

الهروب إلى الغيب

جدلية العودة إلى الأصل المجهول

نحن محاصرون بجدران صلبة من الواقع المادي، قوانين فيزياء صارمة، جداول زمنية قاسية، وتفاصيل يومية تكرر نفسها برتابة منهكة، هذا (المعلوم) الذي نعيشه رغم ضرورته لكنه يفرض على الخيال والروح قيوداً خانقةً إنها سجن أفلاطون المعاصر، كهفٌ مضيءٌ بالتكنلوجيا والمنطق التجريبي، لكنه يظل كهفا لا نرى فيه سوى ظلال الحقيقة، وهنا يولد الحنين إلى الغيب... فالغيب ليس مجرد (ما لم يُرَ بعد) بل هو الفضاء اللامتناهي لكل ما هو محتمل ومقدس ولكل ما يتجاوز الإدراك الحسي والتحليل العقلي القاصر، إنه ملعب الفلاسفة ومرتع الصوفية...

فالهروب إلى الغيب ليس نكوصا بل هو توسيع للوجود وفرار من عالم يفرط في تقديس المنفعة والقياس.

فالفنان يرى الغيب مستودعاً للإلهام، حيث تتجاوز الصورة الملموسة حدودها لتصبح رمزا لحمل آلاف المعاني.

أما المتصوف فيرى أن الغيب هو المطلق الذي يسافر إليه القلب، متجاوزاً أوهام الأنا والزمن والمكان، باحثاً عن الوحدة الكونية في خلوة الذات، إنه الحضرة الإلهية ومستوع الأسرار وموطن الروح الأصلي والوجهة النهائية للعاشق التائق.

بالنسبة للفيلسوف فالغيب هو الحيز الذي تطرح فيه الأسئلة الكبرى التي لا إجابات لها، أسئلة العدم والمعنى والمصير، إنه البحث عن الأصالة خلف الحقيقة الظاهرة، فالغيب ليس عالماً آخراً بل إمكانية أخرى وهو مواجهة مباشرة للقلق الوجودي، يرى هايدغر أن الموت هو أقصى وأكثر الغيوب حقيقة، وهو الإمكانية الفردية غير القابلة للتجاوز.

في نهاية المطاف قد لا يكون الغيب بعيدا عنا، ربما هو تلك اللحظة التي نغلق فيها أعيننا، لنستجيب لدعوة ملحّة لعدم الركون إلى السكون، ولجعل الوجود كله أنشودة معلقة تنتظر اللحن القادم من اللامكان.

الحُب ...
قلب ازداد دقاته ...

منى فتحي حامد
كاتبة. قاصة. شاعرة. مصر

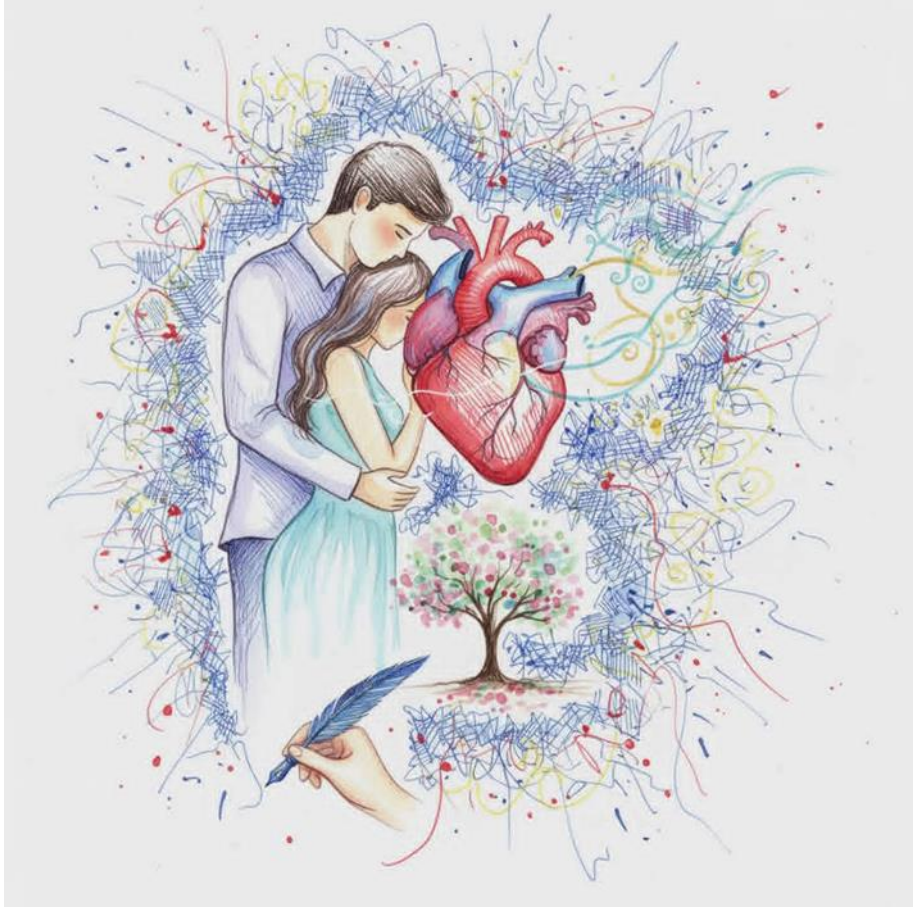

الحب هو الحياة، ليست كلمات أو شعارات، بل واقع ملموس يرتجيه كل منا رجل أو امرأة لديهم مشاعر وأحاسيس في هذه الدنيا البراقة، بالأخص في حياتنا الدنيوية ...
لذتنا ومشاعرنا الإيجابية تزيدها بريق ولهفة وشوق وشغف بالتنهدات الرقيقة والهمسات الدافئة والصوت الهادئ بالإضافة إلى كلمات الإعجاب والتقدير الجميلة..
لذلك يعتبرها الرجل من أهم الصفات التي يحبها في المرأة لأنها تزيد من جاذبيتها وتجعله دائما يشعر بالراحة والحنان والسكينة والوئام والانسجام معها ...
لذلك نرى أن الحب هو عاطفة قوية تنشأ بين رجل وامرأة بانجذاب قوي وارتباط بينهما في رحلة الحياة..

بل هو شعور إنساني عميق يشتمل المودة والحنان والانجذاب والتعلق والرغبة والنشوة ...الخ
أي أنه مجموعة من المشاعر الإيجابيّة العاطفية والعقلية معا ...
فمِن الحب ينشأ الترابط والانتماء والشغف والاشتعال العاطفي والجسدي مع الالتزام باتخاذ قرار استمرارية العلاقة المعهودة بينهما ..
يفسره البعض بأنه شعور معقد وعميق يتضمن المودة والاهتمام والشغف والالتزام، يتخلله رعاية وثقة وتقارب ورغبة في إسعاد كل طرف من الطرفين ببناء علاقة قوية دائمة بينهما..
لكنني أراه من منظوري الشخصي بأنه يتجسد في الكلمة الطيبة بجانب الابتسامة والمساندة والتركيز على إسعاد الشخص الآخر..
لتلك الأسباب نرى ونعمم بأن الحب أعمق من مجرد الاستمتاع بوجود شخص ما، لأنه يتضمن

رغبة قوية في التقارب والتواصل والاهتمام بالطرف الآخر أكثر من الذات...
لذلك الحب الصحيح الجيد هو قبول غير مشروط، يستلزم التفهم والتضحية من أجل الآخر...
الرجل الذي يمتلك مشاعر الحب تجاه محبوبته دائم الاهتمام المستمر بها و عن تفاصيل حياتها وغالباً يُظهر اهتمامه بموضوعاتها وتطلّعاتها وأمنياتها ...
لذلك ننصح المرأة بتلقائية التعامل مع الرجل بالإضافة إلى أنها وقت الحديث معه في موضوعات معينه، يجب عليها بأن تضع رأسها على صدره وأن تخبره دائما بأنها تقدره وتحتاجه سندا دائما لها ...
دامت المحبة بين الاثنين (رجل وامرأة) ....

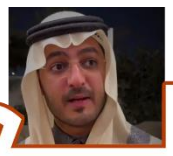

المبدع عبدالعزيز السعيد

ينتصر لسيادة الإنسان، ويبهر "ماسك".. محطماً لعبث "الشريحة"

في قلب التحول الرقمي الذي تقوده المملكة، تبرز أسماء وطنية شابة لم تكتفِ بنقل التقنية، بل قدمت حلولاً تحمي كرامة الإنسان وتضمن أمنه. ضيفنا لهذا العدد هو المبتكر عبدالعزيز السعيد، المؤسس والمدير التنفيذي لشركة BioWavePass، الذي استطاع تحويل "راحة اليد" إلى مفتاح أمانٍ عالمي يتفوق على أكثر الحلول التقنية إثارة للجدل في العالم.

ابتكار سعودي يواجه غطرسة الشريحة المغروزة

يقدم عبدالعزيز السعيد من خلال تقنية التحقق عبر أنماط أوردة كف اليد (Palm Vein Technology) بديلاً آمناً وأخلاقياً يتفوق تماماً على كثير من الوسائل التي يسهل تجاوزها.

إن هذا الابتكار يمثل الرد السعودي الذكي على تلك "الشرائح البائسة" التي تروج لها شركات عالمية لغرزها تحت الجلد؛ تلك التقنيات التي تهدف للتحكم في النفس البشرية وتوجيهها وفق مآربها ضمن التنافس التقني العالمي المستعر. في المقابل، تأتي تقنية السعيد لتؤكد أن الحفاظ على الهوية والأمان لا يتطلب انتهاك الجسد، بل يكفي قراءة الأنماط الحيوية الطبيعية التي منحنا الله إياها، مما يجعل "BioWavePass" حصناً منيعاً ضد محاولات التحكم والتبعية التقنية.

"إيلون ماسك" يشهد بالتميز

هذا التفوق السعودي لم يمر مرور الكرام، بل وصل إلى أقطاب التقنية العالمية. فقد أثار فيديو استعراضي لسهولة وأمان الدفع عبر راحة اليد إعجاب الملياردير العالمي إيلون ماسك، الذي علق بكلمة واحدة: "Wow". هذا الاعتراف من مالك منصة "X" وشركة "تسلا" يؤكد أن الابتكار السعودي بات يشكل تهديداً إيجابياً للأنماط التقليدية والمشبوهة في عالم الهوية الرقمية، واضعاً المملكة في مقدمة الدول التي تصدر حلولاً تخدم الإنسان وتحمي خصوصيته.

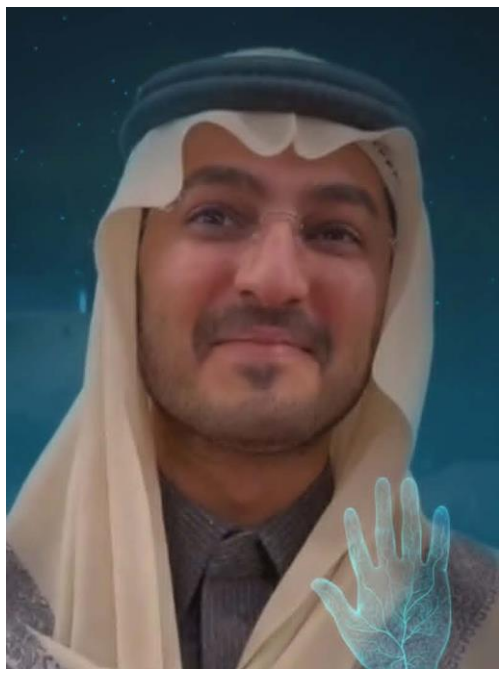

ركيزة في رؤية 2030 وجودة الحياة

يتناغم مشروع عبدالعزيز السعيد مع تطلعات رؤية المملكة 2030؛ فهو ليس مجرد نظام دفع، بل هو لبنة في بناء "مجتمع رقمي آمن". يساهم الابتكار في تحويل المملكة إلى بيئة خالية من البطاقات والنقد التقليدي، معززاً "جودة الحياة" عبر توفير تجربة مستخدم سلسة، سريعة، وفوق كل ذلك، "سيادية" لا تخضع لأهواء الشركات العالمية العابرة للقارات.

بصمة وطنية بطموح عالمي

يمثل عبدالعزيز السعيد جيل الرؤية الذي يجمع بين الطموح الوطني والوعي التقني العالي. هو يدرك أن المعركة القادمة هي معركة "البيانات والتحكم"، لذا اختار أن تكون بصمة المملكة في هذا المجال بصمة أخلاقية، آمنة، ومبتكرة.

اليوم، تحتفي مجلة "وطني" بالسعيد، لا لمجرد كونه رائد أعمال ناجح، بل لكونه حارساً جديداً على ثغور الهوية الرقمية السعودية، ومبتكراً أثبت للعالم أن الحلول الأكثر تعقيداً هي تلك التي تحترم كينونة الإنسان.

"نحن لا نطور تقنية للدفع فقط، بل نصون هوية الإنسان من خلال ابتكار يحترم خصوصيته ويضمن أمانه دون قيود أو تبعية."

منطقة الصفر في منهج الحفر الثقافي الجدلي

قراءة النصوص من الداخل

خالد الحديدي

روائي . كاتب . ناقد . مصر

عزيزي القارئ

لقد تحدثنا في المقال السابق عن أساسيات منهج الحفر الثقافي الجدلي، وبيّنا الحاجة الماسّة إلى قراءة النصوص من الداخل، بعيدًا عن التأويلات السطحية والانطباعات الجاهزة، وكيف أن الفهم النقدي لا يمكن أن يكتفي بالسطح، بل يجب أن يغوص في طبقات النص المتعددة. في هذا العدد من المجلة، نتناول أحد أهم عناصر هذا المنهج، وهو «منطقة الصفر»، التي تمثل نقطة البداية الحقيقية لأي قراءة عميقة للنص.

وفي زمن تغمره الضوضاء الفكرية والتفسيرات السريعة، حيث تكثر الاجتهادات الجاهزة والانطباعات المعلّبة، يصبح فهم النصوص الحقيقية مهمة صعبة ومعقدة. فالنصوص، مهما بدت واضحة للوهلة الأولى، لا تصل إلينا نقية، بل مُغطاة بطبقات متراكمة من القراءات السابقة، والتفسيرات الثقافية والاجتماعية، والانطباعات الشخصية، مما يجعلنا أحيانًا نخسر روح النص ومغزاه العميق، ونقع في فخ السطحية والتكرار.

هنا يظهر مفهوم «منطقة الصفر» بوصفه لحظة إعادة النص إلى أصله، وكأننا نقرأه لأول مرة، بعيدًا عن أي مرجعية خارجية أو تأثير مسبق أو أحكام جاهزة. إنها دعوة للقارئ إلى التخلي عن كل الافتراضات السابقة، ومواجهة النص مباشرة، كما لو كان كائنًا حيًا قادرًا على الحوار، وإثارة التساؤل، وتحفيز الفكر. لكن منطقة الصفر ليست مجرد خطوة تمهيدية، بل حالة وجدانية وفكرية متكاملة، حيث يتحول النص من مجرد كلمات على الورق إلى فضاء للتجربة الفكرية والعاطفية، تتداخل فيه العاطفة مع العقل، ويصبح الصمت بين الكلمات جزءًا من اللغة نفسها، يحمل وزنًا رمزيًا ويستدعي الانتباه والتأمل. إنها لحظة للتحرر من كل التراكمات الفكرية والاجتماعية، وإعادة اكتشاف النص بصفته كيانًا جدليًا حيًا ومستقلًا، قادرًا على إعادة تشكيل إدراكنا للعالم والأفكار والقيم.

في هذا السياق، تصبح القراءة أكثر من مجرد نقل للمعلومات أو استخراج للحقائق؛ فهي رحلة حفر ثقافي داخل النص، تستدعي الصبر والوعي والحسّ النقدي، وتفتح أمام القارئ أفقًا جديدًا للتفاعل مع المعاني، والتساؤل حول العلاقات الخفية بين الكلمات، والبحث عن جدليات النص الداخلية التي قد تختبئ وراء بساطته الظاهرية. ومن هذا المنطلق، يتحول النص من كونه مجرد

رسالة مكتوبة إلى تجربة وجودية كاملة، تدفع القارئ إلى إعادة النظر في مفاهيمه وفهمه للزمن والحياة والوعي والذات، وتؤكد أن القراءة الحقيقية ليست مجرد تمرير للمعنى، بل اكتشاف للروح الكامنة وراء كل كلمة.

ماهية منطقة الصفر

في منطقة الصفر، لا يُقرأ النص للعثور على معنى جاهز، بل يُقرأ لاستخراج المعنى الكامن في صميمه، من خلال تحليل كل كلمة، وكل توقف، وكل مسافة بين الجمل. هنا، يصبح الصمت جزءًا من النص، والكلمة وسيلة لفهم العلاقة بين الظاهر والباطن، بين الفكر والعاطفة، بين ما قيل وما لم يُقل.

الهدف من منطقة الصفر هو تصفية النص من التراكمات الثقافية والفكرية السابقة، وتحرير القارئ من الانطباعات المسبقة، ليصبح قادرًا على التفاعل المباشر مع النص، وفهم جدلياته الداخلية، وتحريك معانيه الكامنة. إنها عملية حفر ثقافي داخلي، تشبه التنقيب الأثري، حيث يُكشف عن طبقات النص العميقة واحدة تلو الأخرى، دون التعرض لتشويه المعنى أو فرض رؤية خارجية عليه.

تطبيق منطقة الصفر على نص نثري للمعرّي

أبو العلاء المعرّي نموذج ممتاز لتطبيق هذه القراءة، إذ تتسم نصوصه النثرية بالعمق الفلسفي، والجدلية الداخلية، والوعي النقدي الذاتي. لنأخذ النص:

«إذا كانت الدنيا فانية، فما أيسرها لمن فرّط، وما أعظمها لمن اعتبر!»

القراءة السطحية قد تعتبر هذا مجرد نصيحة أخلاقية عن الزهد وفناء الحياة، لكن منطقة الصفر تحثنا على التوقف عند كل كلمة:

«إذا» ليست مجرد حرف شرط، بل تمثل نقطة انطلاق للتأمل، حيث يتم الاشتباك مع احتمالات المعنى، والجدلية بين الفعل والنتيجة.

«الدنيا فانية» دعوة للتفكير في الزمن والحياة، وليس مجرد تذكير بالزهد؛ فهي تشير إلى التجربة الإنسانية المحدودة، وتحفّز القارئ على الموازنة بين ما يُهمل وما يُعاش بوعي.

«ما أيسرها لمن فرّط، وما أعظمها لمن اعتبر» يكشف عن جدلية مركزية في النص: الغفلة مقابل الوعي، التفريط مقابل الاعتبار، تجربة الفرد مقابل المعنى الكلي للحياة.

في هذه القراءة، يتحول النص إلى تجربة فكرية وجودية، حيث يكون للصمت بين الكلمات وزن رمزي، وتحمل الكلمة نفسها طبقات متعددة من المعنى، تتفاعل مع القارئ، وتستدعي التفكير النقدي والوجداني في آن واحد.

الجدلية الداخلية في نصوص المعرّي

يستخدم المعرّي النصوص بوصفها مساحات جدلية، حيث يجمع بين الفكر والعاطفة، بين الظاهر والباطن، وبين التساؤل والفعل.

في نص آخر يقول:

«ومن يزرع العقل يحصد السلامة، ومن يزرع الغفلة يحصد الضلال.»

القراءة التقليدية قد تعتبر هذا مجرد نصيحة أخلاقية، لكن منطقة الصفر تكشف عن صراع داخلي مستمر بين الفكر والعمل، بين المعرفة والجهل، بين الوعي والغفلة. النص هنا ليس جامدًا، بل يتحرك مع القارئ، ويستحثه على المشاركة في خلق المعنى، وتحقيق وعي ذاتي تجاه الحياة والمجتمع.

أهمية منطقة الصفر في النقد

تمثل منطقة الصفر حجر الأساس لمنهج الحفر الثقافي الجدلي، لعدة أسباب:

تحرير النص من التراكمات، عبر محو الانطباعات المسبقة والتفسيرات الجاهزة.

تمكين القارئ من المشاركة الفعلية، بحيث يصبح شريكًا في صناعة المعنى لا مجرد ناقل له.

اكتشاف الطبقات العميقة للنص، وفهم التناقضات الداخلية، والصلات بين الظاهر والباطن، وبين الكلمة والصمت.

فهم التراكم الثقافي والمعنى المتغير، فالنص ليس ثابتًا، بل يتفاعل مع كل زمن وكل قارئ، ويستجيب للظروف الثقافية والاجتماعية والفكرية المحيطة به.

العودة إلى النصوص: المعرّي كمختبر فكري

عند العودة إلى نصوص المعرّي، نجد أن منطقة الصفر تكشف عن ثراء فريد في الأسلوب والفكر. فكل نص نثري يرتبط بماضٍ ثقافي واجتماعي محدد، لكنه في الوقت ذاته يتجاوز زمنه، ويطرح أسئلة وجودية صالحة لكل عصر. فالنصوص التي تناولت الزهد والعقل والاعتبار ليست مجرد أطروحات فلسفية جامدة، بل دعوات متجددة للتفكير النقدي، والوعي بالذات، وإدراك جدلية الحياة والوجود.

وفي ختام هذا المقال، وبعد أن استعرضنا عمق مفهوم منطقة الصفر وأبعادها الفكرية والجدلية، يتضح أنها أكثر من مجرد مرحلة تحليلية؛ إنها رحلة وجدانية وفكرية متكاملة، يتحول خلالها النص إلى كائن حي أمام القارئ، قادر على إثارة التساؤل وتحفيز العقل وفتح آفاق غير محدودة للتأمل والفهم. إنها رحلة لإعادة اكتشاف النصوص كما لو كُتبت اليوم لأول مرة، بعيدًا عن أي تحيز أو تراكمات سابقة.

ومن خلال ممارسة منطقة الصفر، ندرك أن القراءة ليست مجرد تمرير للكلمات أو استخراج للمعلومات، بل تجربة عميقة للوعي والفهم، ومواجهة مستمرة للجدلية الداخلية للنصوص، بين المعنى الظاهر والمعنى الباطن، بين العقل والعاطفة، بين الفرد والمجتمع، وبين التاريخ والحاضر.

كما تمنحنا منطقة الصفر القدرة على كشف التفاعلات الخفية بين النصوص والثقافات المختلفة، وفهم كيفية تراكم الخبرات الثقافية عبر الزمن، وكيفية تشكّل المعنى في سياق متغير. إنها أداة تُمكّننا من التمييز بين ما هو جوهري في النص وما هو إضافي أو متراكم بفعل التأويلات المتكررة، فتعيد النص إلى أصالته، وتكشف بصمته الثقافية والفكرية.

وفي نهاية المطاف، تبقى منطقة الصفر منهجًا للحرية الفكرية، تؤكد أن النصوص ليست وثائق جامدة، بل حوارات مستمرة بين الكاتب والقارئ، بين الماضي والحاضر، وبين المعنى الظاهر والمعنى الكامن. إنها دعوة دائمة للعودة إلى الجذور، واستنطاق النصوص بكامل قدرتها على التأثير والتغيير، وإعادة اكتشاف الذات والقيم والمعرفة في ضوء جدلية النص المستمرة.

وباختصار، تجعل ممارسة منطقة الصفر من القراءة رحلة إبداعية لا تنتهي بانتهاء الصفحة، بل تستمر في ذهن القارئ، محفزة التفكير النقدي، وموسعة الأفق الثقافي، ومزودة بالأدوات اللازمة لفهم النصوص بعمق، وتحريرها من القيود الفكرية والاجتماعية التي تفرضها القراءات السطحية أو الجاهزة.

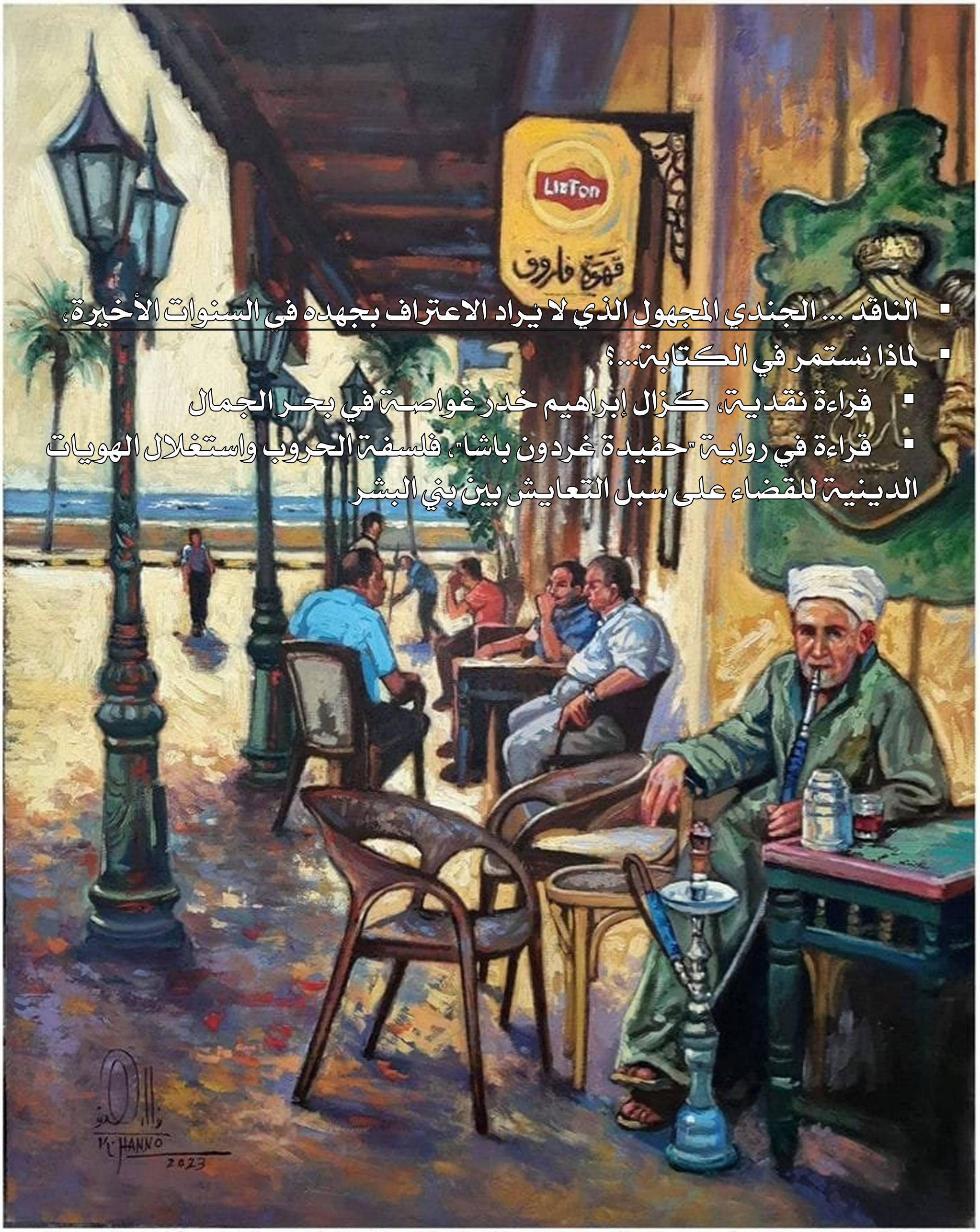

- الناقد ... الجندي المجهول الذي لا يُراد الاعتراف بجهده في السنوات الأخيرة،
- لماذا نستمر في الكتابة...؟
- قراءة نقدية، كزال إبراهيم خدر غواصة في بحر الجمال
- قراءة في رواية "حفيدة غردون باشا"، فلسفة الحروب واستغلال الهويات الدينية للقضاء على سبل التعايش بين بني البشر

Farouk Coffee , Alexandria , by Khaled Hanno , oil on wood 40 x 50 cm 2023

مقهى فاروق . للفنان التشكيلي المصري . د. خالد هنو

الناقد ...
الجندي المجهول
الذي لا يُراد الاعتراف بجهده في السنوات الأخيرة،

حسن غريب أحمد
ناقد . روائي . شاعر . مصر

تعاظمت ظاهرة لافتة في المشهد الأدبي العربي، تتمثل في تجاهل دور الناقد وعدم الاعتراف بقيمته الفكرية والمهنية، رغم كونه أحد أهم الأركان التي يستند إليها الإنتاج الأدبي في الرواية والشعر والمسرح. ورغم أن الكاتب يحرص على نشر عمله وتلميعه وتقديمه بصورة لائقة أمام القارئ، فإن كثيرًا منهم لا يلتفتون إلى الشخص الذي يقف خلف هذا التلميع، ولا يُقدّرون الجهد الذي يُبذل خلف الكواليس.

الناقد... عملٌ طويل لا يُقابَل إلا بكلمة "شكرًا"

عادةً ما يُرسل المؤلف عمله—رواية كانت أو ديوانًا أو مسرحية—إلى الناقد، طالبًا منه إعداد قراءة نقدية شاملة، أو دراسة معمّقة تُضاف إلى رصيد العمل وتمنحه شرعية ثقافية. ورغم أن الناقد يجهد في قراءة النص، وتحليل رموزه، واستنباط دلالاته، وصياغة دراسة متكاملة تستنزف جهده ووقته ومعرفته، فإن المقابل ينتهي لدى بعض المؤلفين بكلمة واحدة: "شكرًا".

هذه الكلمة—على رقتها—لا تكفي لسداد جهد أيامٍ وليالٍ من السهر والتفكير والتحليل، ولا تعبّر عن التقدير الواجب لمهنة ذات طابع علمي وبحثي مرهق.

غياب ثقافة الدفع لقاء الجهد الفكري

تكشف هذه الظاهرة عن أزمة أعمق: غياب ثقافة المقابل المادي في العمل الثقافي. فالأغلبية تتعامل مع الناقد باعتباره متطوعًا، أو هاويًا، أو تابعًا للمشهد الأدبي، لا صاحب مهنة تحتاج إلى دعم وتقدير. والأدهى أن البعض ينظر إلى النقد على أنه خدمة مجانية واجبة، لا تستحق أن يُقابلها المؤلف بأجر، مهما بلغت جودة الدراسة وعمقها.

وفي المقابل، لا يسأل هؤلاء:

كيف يعيش الناقد؟

وكيف يوازن بين عمله الفكري وحياته؟

وكيف يواصل هذا الجهد دون دعم أو مقابل؟

التجاهل يؤلم أكثر من النقد

لا شيء يرهق الناقد مثل الشعور بأن جهده مُستغَل. فالمؤلف الذي ينتظر دراسة جاهزة للنشر، ويغفل تمامًا أن وراءها ساعات من البحث والتدوين والمراجعة، إنما يُلحق بالناقد أذى نفسيًا ومهنيًا. فحين لا يرى هذا الأخير ثمرة عمله في صورة تقدير حقيقي—ماليًا أو معنويًا—يشعر بأنه مهدور القيمة، وكأن دوره مجرد هامش لا ضرورة له.

ضرورة إعادة ضبط العلاقة بين المؤلف والناقد

إن العلاقة بين المؤلف والناقد علاقة تكامل لا تبعية. فالكاتب يُنتج النص، والناقد يكشف قيمته، ويفتح أمامه آفاق القراءة والتأويل. لذلك، يصبح من الواجب أن يُعامَل الناقد باحترام مهني، وأن يُقدَّر جهده وفق معيار واضح:

الدراسة النقدية عمل... والعمل لا يكون بلا مقابل.

إن احترام الناقد جزءٌ من احترام العمل الأدبي نفسه، وعدم تقديره يضعف قيمة المشهد الثقافي بأكمله، ويجعل من الممارسة النقدية عملًا مرهقًا لا يشعر صاحبه بأن له مكانًا أو تقديرًا داخل المساحة التي يخدمها.

وقبل النهاية أقول:

إن الحاجة اليوم إلى ترسيخ ثقافة جديدة في الوسط الأدبي باتت ملحّة:

ثقافة تُعيد الاعتبار للنقد والنقّاد، وتضع مقابلًا عادلًا لجهودهم، وتكسر فكرة أن "كلمة شكرًا" تكفي لسداد دينٍ معرفي كامل.

فالناقد ليس ظلًا باهتًا خلف النص، بل هو العين التي ترى ما لا يُرى، والعقل الذي يضيء المعنى، واليد التي تُمسك بالنص لتقدّمه إلى القارئ في صورته الأجمل والأعمق.

وهذا الدور يستحق التقدير... لا التجاهل.

لماذا نستمر في الكتابة...؟

عصام سامي ناجي
كاتب. قاص. شاعر. مصر

لماذا نستمر كُتّابًا في الكتابة، بالرغم من أن معظمنا لم يَجْنِ منها سوى التعب والمشقة، هل ما زال يراودنا الأمل في أن ما نقدمه سيؤتي ثماره، وأننا لا نصرخ في أرض جرداء لا بشر فيها ولا زرع؟ على المستوى الشخصي عزيزي القارئ لا يعنيني ما إذا كان ما أقدمه سيؤتي ثماره أم لا، فأنا حددت موقفي منذ تَكَوَّن وعيي، وهذا الموقف هو أنني أقوم بدوري، بغض النظر عن النتائج، حتى أشعر في لحظة الرحيل عن الدنيا بالراحة، وأن الأعداء لم يدخلوا من الثغرة التي أقف عليها، نعم فكلٌّ منا يقف على ثغرة.

إن معركة الوعي التي نخوضها ضد الطابور الخامس "وكلاء الاحتلال" هي من أخطر المعارك، وتكمن خطورتها في إدراك الأعداء أنهم لن يستطيعوا أن يحتلوا ديارنا بالشكل العسكري الخشن، ولذلك غيّروا الاستراتيجية، وعملوا على صنع جيلٍ مسخٍ يقطع أواصر الصلة بينه وبين حضارته الضاربة في عمق الأرض. وصنع هذا الجيل لا يكون فقط من خلال وسائل الإعلام القادمة إلينا عن بُعد، ولا من خلال طمس مناهج التعليم وإطفاء ما فيها من مشاعل المعرفة، ولكن لا بد من وجود قواعد لهم على الأرض، وهذه القواعد تتمثل في هؤلاء الكُتّاب الذين يتبنون الرواية والسردية الغربية، ويحاولون ترويج الآراء الفجّة التي تصطدم بوعي الجماهير العريضة التي ما زالت تتمسك بهويتها ودينها. خطورة الموضوع عزيزي القارئ هي أن ما تستهجنه الجماهير اليوم وتراه شاذًا، قد تقبله في الغد نتيجة الإلحاح وتقديمه في وعاء من المعرفة، وبشكل مبهر.

أحاول أنا وغيري من خلال الكتابة أيضًا إلقاء حجر في المياه الراكدة ودعم فكرة التغيير في الوطن العربي البائس الذي يستحق أن يقود قاطرة الحضارة البشرية، لأنه يملك منظومة قيم صنعتها العقيدة ورسخها الموروث. ولكن في غفلة من الزمن، أو قل في غفلة من أبناء الوطن العربي عبر عدة أجيال، حدث التراجع والتدهور. وأنا لا أحمل المؤامرات وحدها مسؤولية ذلك التراجع، ولكن ومن منطلق جلد الذات يتحمل أبناء الوطن العربي جزءًا كبيرًا من المسؤولية.

الكتابة عزيزي القارئ ليست مجرد "تنفيس" أو شيئًا يقوم به الكُتّاب من أجل الترفيه، الكتابة مسؤولية، والمؤسف أن الكثير من الكُتّاب لا يدرك ذلك، فنجد البعض يرتمي في أحضان السلطة – أي سلطة – من أجل مكاسب وامتيازات. وهذه المكاسب وتلك الامتيازات قد تكون مناصب في منظومة الثقافة الرسمية، أو جوائز من الدول الثرية التي لا تمنح تلك الجوائز من أجل "سواد عيون" هؤلاء الكُتّاب الذين من الممكن أن يكون منجزهم الإبداعي ضحلًا، ولكن تلك الجوائز تُمنح من أجل شراء الولاءات.

علي اليدري
كاتب. ناقد. المغرب

قراءة نقدية

كَزال إبراهيم خَدر

غواصة في بحر الجمال

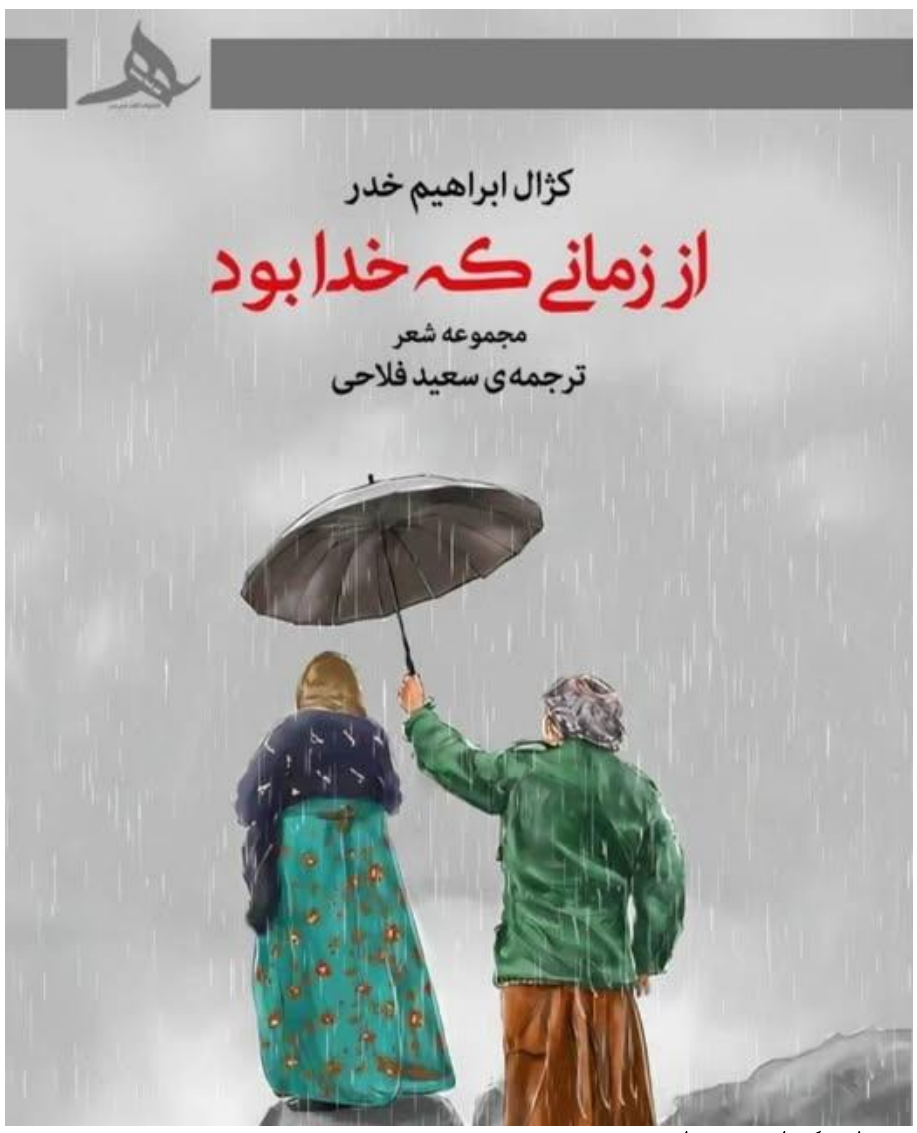

تقديم

في رحلتي المواكبة قراءةً لمنثور الشاعرة الكردية الراحلة كَزال إبراهيم خَدر، أتوقف عند نصَّين شاهدين على عظمة ذات القلم، تزاوجت فيهما البساطة بالعمق. سعيدٌ أن أطلّ على قرّائي من خلال هذه الشرفة، لأشاركهم لحظة تأملٍ في تجربةٍ شعريةٍ فريدةٍ تفيض صدقًا وعذوبة.

منشور النصّين

نصّان شعريان

ترجمة: نسرين محمد غلام ـ إبنة الشاعرة الراحلة.

شعر: كَزال إبراهيم خَدر

النص الأول

يُقال: عندما تودّ إهداء باقةٍ من كلماتٍ إلى من تُحب،

تنطلق كلّ لآلئ الكلمات من بحر خيالك.

ولماذا حين أودّ أنا

أن أهديك بَرعم كلمةٍ،

يَهرب مني القرطاس،

والقلمُ ينحني ويصبح كالعُكاز.

النص الثاني

رجعتَ،

وجلبتَ لي معك

القلادةَ، والقيراطَ، والأسورةَ،

لأعلّقها في رقبتي، وأذني، ومعصمي،

كتعريفٍ للحبّ.

لكن حبيبي، كن على يقين:

إن كنتُ بعيدًا عنك،

فكلُّ ذلك يجلب لي الحزن،

مثل جسدي وروحي،

فضاءٌ يملؤه الضباب.

بين بحر النصين

من أين لي بقاربٍ يؤمّن لي رحلةً في بحر النصّين دون أن أغرق!؟

ومن أين لي بمنطادٍ يُتيح لي التحليق في فضاءٍ قادته الشاعرة كَزال بقصائدَ عاصفةٍ من الحنين والأنين؟

ومع ذلك، أحاول؛ فالانبهار أحيانًا يقودنا إلى التهوّر، وليس التهوّر نقيصةً إذا كان إغراقًا في بحر الجمال.

دون أن أغفلَ الانتباه إلى الأيادي التي كانت جسرَ وصولي إلى هذا الإبداع الجميل، حريٌّ بي أن أشكر جزيلًا الأستاذة نسرين محمد غلام، التي ترجمت – بكفاءتها المعهودة– النصين عن الكردية، وأتاحتهما لقرّاء اللغة العربية. وبمعيّتها الحميمية، أوجّه جميل الثناء إلى وارثة سرّها، ابنتها المصونة، المؤتمنة على ثروة إبداع والدتها وتعهدها بالنشر رهنَ إشارة القرّاء، واثقًا من زهو صنيعها.

إيقاعٌ وصورةٌ ودهشة

ولأن الشعر فنٌّ جميل يقتادنا نحوه من أجل فرصة استمتاعٍ بمؤشراتٍ عديدة، يشدّ انتباهي من النصين الإيقاعُ الموسيقي المتجلّي رخيمًا. والمثير أنّ عملية الترجمة لم تفقده هذه الخاصية، بل تؤكّد عظمة صاحبته حين تمتدّ بهذا المؤشّر الجمالي مهما تغيّرت لغة النطق.

الصورة الدرامية في شعر كَزال محسنٌ بديعيٌّ يكاد يحضر في كلّ قصائدها؛ فغالبًا ما تقوم بعرض مشهدٍ من الواقع مثيرٍ لإعجابنا، وفجأةً تقودنا إلى اكتشاف ما ينضوي عليه من تضليلٍ وزيف. ويبرز ذلك جليًّا في النصّين.

حبٌّ يتكئ على الصدق

تواجهنا الشاعرة كَزال، من خلال النصّ الأول، بواقع حالنا ونحن ننقّب في القواميس وعميق الوجدان عن الكلمات التي تُظهرنا في أرقى مراتب الحب. وإذ تتأمّلنا هكذا، لا تنساق هي لمساجلتنا قصيدةً تنهل من قاموس عشقٍ خياليٍّ زائف؛ بل القرطاس يفرّ من رحبها تَمنُّعًا، ويتحوّل اليراع إلى عكازٍ تتّكئ عليه.

إنّه انتقادٌ ازدرائيٌّ منها للحبّ السائد في دنيانا: محضُ كلماتٍ بَرّاقةٍ تتستّر على خِسّةٍ في أعماقنا. لتصفعنا بتوضيح المعنى الصادق للحبّ، أن يصير فيه القلمُ عُكازًا يُتكأ عليه ليحفر الجذور في أعماق الواقع؛ أو بصيغةٍ أخرى، أن يكون كلُّ طرفٍ فيه متّكأً للطرف الآخر.

وفي النصّ الثاني لا تبارح ذات الفكرة، بل تعمل على تثبيتها، وتؤانسنا معها دون رتابةِ تكرار؛ إذ تعرضها في شكل لوحةٍ شاعريةٍ جديدة، تزاوج في جماليتها بين بهجة الصورة وعمق التأمّل.

زيفُ الزينة وصدقُ العاطفة

تستحضر الشاعرة مشهدًا من حياتنا المألوفة، حيث تُقدَّم القلائدُ والأساورُ والأقراطُ للمرأة عربونَ حبٍّ، وتتباهى بعضهنّ بعرض ذلك كلما أُتيحت الفرصة، ملوّحاتٍ بحظوتهنّ الأوفر. لكن الشاعرة كَزال لا تُساير الناس في هذا الإيقاع، بل تكشف ما في الموضوع من زيف.

ترى أن الجواهر التي يحملها إليها الحبيب لا يمكنها أن تكون صادقةَ الدلالة على الحب، ولا يمكنها التكفير عن لحظات الجفاء. وليس وقاحةَ الأمر في الغربة التي قد تَحتمها ضروریاتٌ ما، بل العيب المميت يكمن في حالة الاغتراب بوجهها العاطفي.

وبالتالي، فصدق العواطف بين الحبيبين يُبدّد مسافة البعد، ويُغني عن كلّ الجواهر.

ختام

كَزال إبراهيم خَدر، الشاعرة العظيمة، من خلال هذين النصين، تُقارب موضوعَ الحبّ بجماليةٍ شعريةٍ تراوح بين الإيقاع الموسيقي ودهشة الصور، وبعمقٍ فلسفيٍّ يزدري تجلّياته المكشوفة المبتذلة، ويؤسّس للجوهر منه القائم على الصدق، في تطابقٍ مطلقٍ بين العقل والعاطفة.

إنها تُحدّثنا عن حبٍّ راشدٍ نقيٍّ، يتجاوز الزخارف ليبلغ الجوهر.

قراءة في: رواية "حفيدة غردون باشا"

فلسفة الحروب واستغلال الهويات الدينية للقضاء على سبل التعايش بين بني البشر

سليم بوشخاشخ
كاتب. ناقد. المغرب

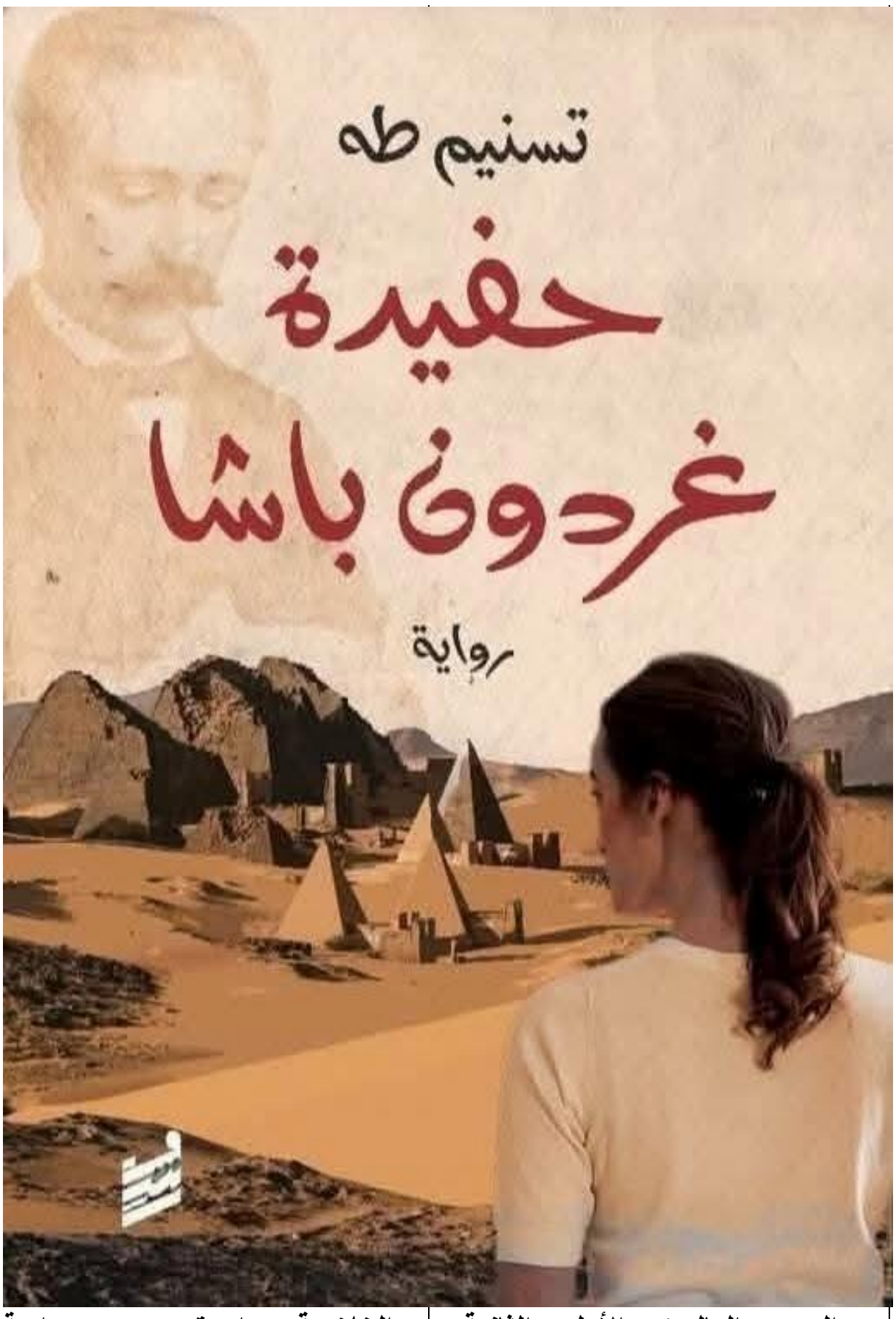

رواية "حفيدة غوردون" هي رواية متشعبة الأحداث متعددة الطبقات الزمكانية، كتبت بأسلوب بعد حداثي يستعمل التشظي في التناول الزماني والتداخل بين الأماكن ليأخذ القارئ في متاهة من الأحداث تتقافز بين الازمنة والأماكن والشخصيات ليخرج بعدها بقناعة أن التاريخ يعيد نفسه وان قراءة التاريخ تتجاوز الأحداث الظرفية لتخلص إلى أن نفس المسببات لتؤدي لنفس النتائج.

تلك هي فلسفة التاريخ التي اسسها ابن خلدون، وسماها بتلك التسمية فولتير قبل أن يطورها روسو ثم هيجل وماركس.،

وضمن فلسفة للتاريخ، ترتكز الرواية على فلسفة الحروب كإطار نظري لإيصال الفكرة...التمرين بسيط، نجرد الحروب عبر التاريخ من ظروفها الزمكانية ونحللها كمثال أو صورة مجردة على الطريقة الافلاطونية لنستخلص فكرتها العامة كظاهرة كونية متكررة عبر الازمنة والأماكن.

ذلك ما حاولت الرواية إبرازه من خلال تطرقها إلى مختلف الصراعات والحروب منذ حرب طروادة إلى الحرب الأهلية في السودان، مرورا بمحاكم التفتيش في الاندلس والحربين العالميتين الأولى والثانية وما رافقها من استعمار واستقلال ونزوح ومجازر ومحارق...

الخلاصة واحدة، هي دراسة الهندسة المجتمعية للشعوب من طرف السياسيين، وكسر مظاهر

التعايش من خلال تأجيج النعرات الطائفية وسياسة فرق تسد، وذلك بتحويل الدين إلى هوية سياسية، لتنتقل الهوية الدينية إلى تخندق على شكل "نحن" و "هم" فتتحول المجتمعات من خليط متجانس إلى مجموعات متنافرة ومتعادية تتسم بتقديس "الأنا" ومعاداة "الغير".

فمحاكم التفتيش في الاندلس حولت المجتمع الأندلسي من إطار للتعايش بين المسلمين والمسيحيين واليهود إلى حرب عرقية لا تعترف إلا بالهوية المسيحية، والاحتلال الغاشم لإسرائيل لفلسطين أدى إلى هجرة جماعية لليهود إلى إسرائيل بعد أن كانوا يعيشون بسلام في شتى الأقطار في شمال إفريقيا من المغرب إلى إثيوبيا، فتغذت النعرات الطائفية وانتفت اسباب وظروف التعايش، كما أن الحرب العالمية الثانية والمحرقة التي تعرض لها اليهود من طرف النظام النازي ومجزرة الارمن من طرف الاتراك قضت على التعايش الإنساني بين بني البشر. كل ذلك خدمة لأجندات سياسية إمبريالية غرضها التحكم في مصائر الناس وثرواتهم ضمن نسق ليبرالي متوحش.

تنقلت الكاتبة بسلاسة بين الأماكن ناقلة الأحداث بين السودان كمكان مرجعي وإرتيريا ومصر وفرنسا وإسبانيا والمغرب والجزائر ومسافرة بين الأزمنة من أربعينيات القرن الماضي وفترة الحرب العالمية الثانية إلى ستينيات نفس القرن ثم تسعينياته إلى الزمن المعاصر رجوعا إلى نهاية القرن الخامس عشر ومحاكم التفتيش في الاندلس، ناقلة شخصياتها المتعددة المشارب والثقافات والاديان، من مسلمين ومسيحيين ويهود، ناقلة إياهم عبر الزمكان مستعملة خلطات علائقية عبر تقاربات وتنافرات بين مختلف الانتماءات، كما استعملت تقنية تعدد الرواة أو ما يصطلح عليه بالبوليفونية لتنقل لنا الأحداث من زوايا ورؤى ومرجعيات مختلفة.

استعملت الكاتبة أسلوب الرواية بعد الحداثية في الانتقالات الزمكانية رافعة الحواجز بين الأماكن والازمنة، متكئة على تيار الوعي السردي والتداعيات الداخلية للشخصيات ومستندة على الحلم كإطار للتشظي السردي وتراكب الازمنة والأماكن في مشهد واحد

الغرض منه إيصال الفكرة الفلسفية التي تجرد الظاهرة من زمكانها لتصل مجردة واضحة.

كما نقرأ في سرد حلم: "بعضهم يقول إنهم شباب من أبناء المورسكيين المنظمون لثورة البيازين في كافة مدن الاندلس، المعارضين على محاكم تفتيش الملك فيرناندید والملكة إيزابيلا، وقد وصلوا مشاهد غرناطة، وبعضهم ينفي ويقول إننا لسنا في غرناطة، بل في باريس وإن الثورة في الخارج ضد الإمبراطور نابليون الثالث، الذي وصل الحكم بانقلاب عسكري، والبعض الآخر يقول إننا في الخرطوم، وهذه اشتباكات بين قوات الجيش السوداني وقوات الدعم السريع"

فنفس المشهد يتحمل إطارات زمكانية مختلفة، والنتيجة واحدة، حرب عبثية وتاريخ يعيد نفسه وإنسان لا يأخذ العبر.

فنقرا في الصفحة 393 : "... ولتاريخِه الذي يعيدُ نفسَه دون أن يقرأه أبناؤه وحكّامه؛ ليتجنّبوا تكرار أخطاء الماضي، وتدمير بلدهم وإتلاف خيراتِه بوَيْلات الحروب الأهليّة.

وأيُّ حربٍ هذه التي اشتعلت من هولُها الرؤوس شيبا؟

وأيُّ حربٍ تلك التي تودي بأعزّ المهج؟ وتذهب بأغلى الضحايا من نفوس الشباب؟

وتوقع العداوة والبغضاء بين الإخوة؟!

هي رواية فلسفية بنكهة سودانية متبلة ببهارات فرنسية إرتيرية مصرية اندلسية مغربية وجزائرية، يتناولها القارئ في صحن بعد حداثي متسم بالتشظي والرمزية.

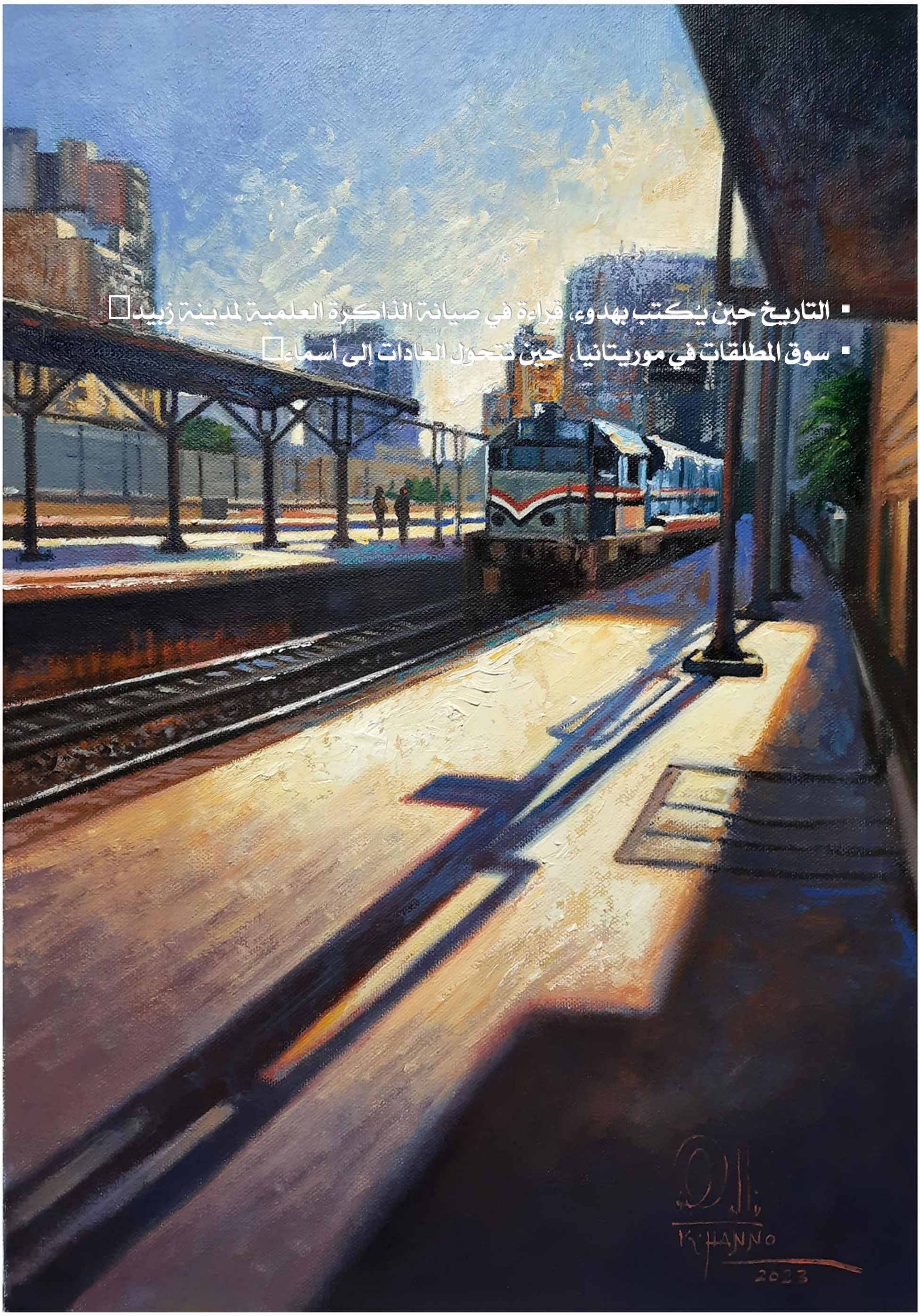

Sidi Gaber train station , Alex , By Khaled Hanno oil on canvas 35 x 50 2023

اللوحة للفنان التشكيلي المصري د. خالد هنو

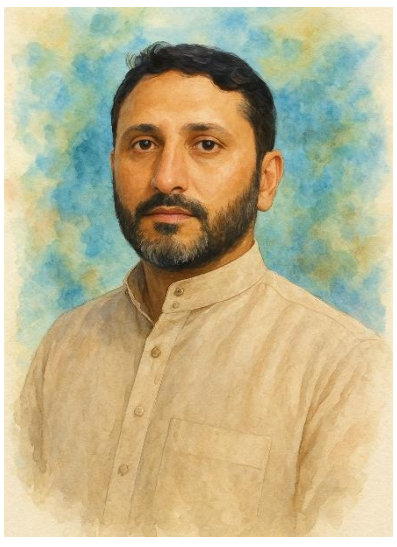

التاريخ حين يُكتب بهدوء

قراءة في صيانة الذاكرة العلمية لمدينة زَبِيد

مقام في حراسة التاريخ

(عن المؤرخ عَرَفَات بن عبد الرحمن الحضرمي)

د. محمد إبراهيم عفيفي
أكاديمي. كاتب. باحث
يمني مقيم في السعودية

تمهيد:

ليست كتابة التاريخ فعلَ استعادةٍ للماضي بقدر ما هي مسؤولية أخلاقية تجاه الحاضر والمستقبل. وفي زمن تتسارع فيه السرديات، وتختلط فيه الرواية بالتأويل، تبرز الحاجة إلى أصوات تكتب بهدوء، وتحقق بتأنٍّ، وتصون الذاكرة دون ضجيج. من هذا الأفق، تأتي هذه القراءة في تجربة توثيقية جادّة، جعلت من مدينة زَبيد نموذجًا للمدينة التي تُحفظ بالمنهج قبل الحنين.

قال العفيفي:

طالما قلّبتُ دفاترَ التاريخ، ونقّبتُ في هوامش الأخبار، وتأملتُ في مصائر المدن التي شاخَتْها الأيامُ وبقيَ اسمُها فتيًّا، فما وجدتُ مدينةً أشدَّ مقاومةً للنسيان من زَبِيد؛ مدينةٍ كلُّ حجرٍ فيها شاهد، وكلُّ اسمٍ فيها سند، وكلُّ أثرٍ فيها حجة. وفي أثناء ذلك الاطلاع، برز لي اسمٌ لا يطفو مع العابرين، ولا يلوّح مع المتعجلين، بل يثبت حيث يثبت التحقيق، ويظهر حيث يظهر التوثيق: عَرَفَات بن عبد الرحمن الحضرمي.

هو رجلٌ لا يُعرَف بالصوت المرتفع، بل بالأثر الباقي، ولا يُقاس بوفرة القول، بل بمتانة الدليل. يكتب التاريخ كما يُصان الوقف، ويقرأ الوثيقة كما تُقرأ الشهادة، حذرًا من الزلل، وخوفًا من أن يُنسب إلى زَبِيد ما ليس منها، أو يُمحى منها ما هو أصل فيها.

نشأ في بيتٍ أُسِّس على التعليم، وتربّى على أن التاريخ ليس ترفًا ذهنيًّا، بل مسؤولية أخلاقية. فكان والده عبد الرحمن الحضرمي من أولئك الذين أدركوا، في زمن التحوّل، أن التعليم بلا ذاكرة جسدٌ بلا روح، وأن المدينة التي تفقد تاريخها تفقد حقها في المستقبل. فغرس المدارس، وصان الرواية، وكتب ليحفظ، لا ليُذكر.

وفي هذا المناخ تشكّلت شخصية عَرَفَات، فكان امتدادًا علميًّا ومنهجيًّا لا تكرارًا ولا تقليدًا. اتجه إلى التاريخ المحلي لا انغلاقًا، بل إدراكًا أن الكلّ لا يُفهَم إلا من جزئه، وأن زَبِيد

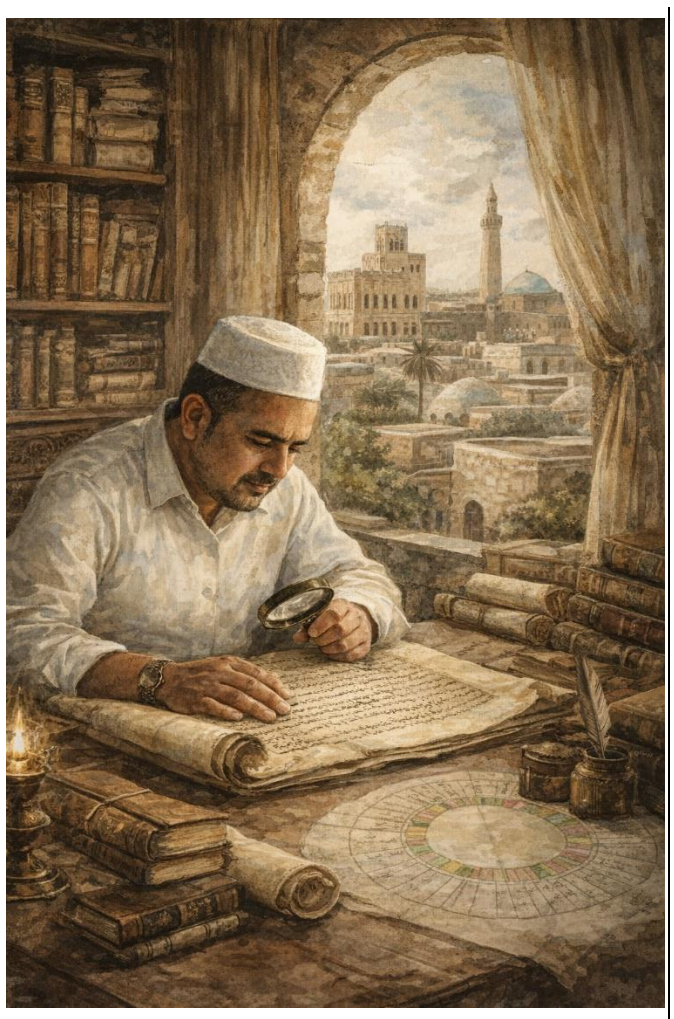

ليست هامشًا في تاريخ اليمن، بل مفتاحًا من مفاتيحه. فجعلها محور بحثه، وميدان درسه، ومنطلق نظره.

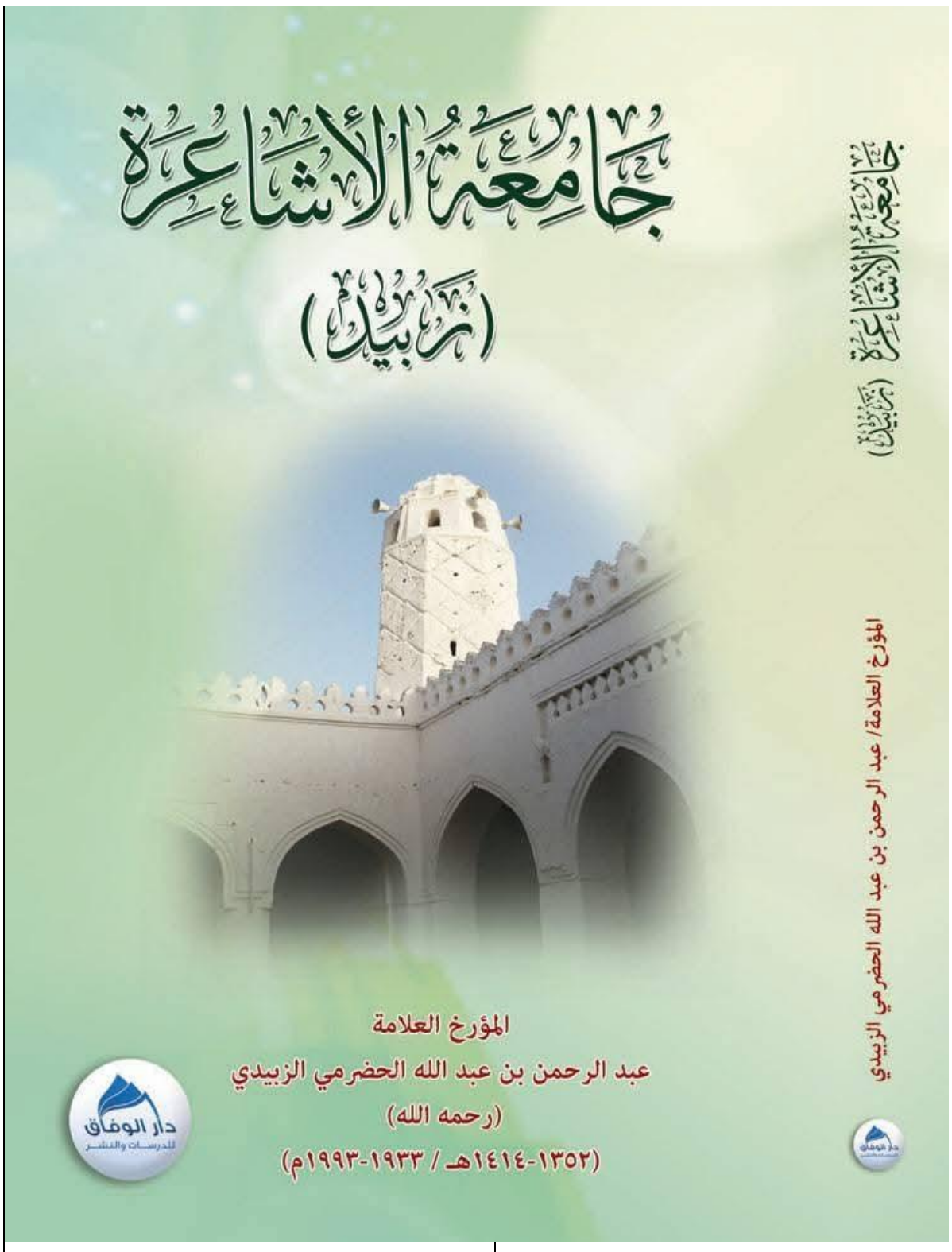

اطّلع على كتب الأنساب كما يطّلع القاضي على السجلات، وتعامل مع كتب الطبقات والتراجم بعين الممحّص لا الناقل، واستأنس بالمخطوطات الزبيدية، والسجلات المحلية، والرواية الشفوية، دون أن يسلم لها تسليمًا مطلقًا، بل قابل ووازن ورجّح، وأثبت الخلاف حيث وُجد، وتوقف حيث يجب التوقف. فغلب على عمله التأنّي، وعلى منهجه التحفّظ، وعلى نتائجه الرسوخ.

ويميل في كتابته إلى إبراز التاريخ العلمي والاجتماعي، أكثر من تتبع الوقائع السياسية العابرة، لأن المدن تُعرف بعلمائها قبل سلاطينها، وبمدارسها قبل قصورها. وله في تراجم العلماء المغمورين يدٌ واضحة، أعاد بها أسماءً كادت تُطمس، وسلاسل علمية أوشكت أن تنقطع، فربط الحاضر بالماضي ربطًا واعيًا لا متكلفًا.

ولا يكتفي في معالجته التاريخية بذكر الأسماء، بل يحرص على وضعها في سياقها الاجتماعي والعلمي، فيبيّن موقع العالم من عصره، ومكان الأسرة من مدينتها، ودور المسجد أو المدرسة في شبكة التعليم. وبهذا خرجت كتابته من حدود التراجم الجافة إلى أفق الفهم التاريخي المركّب.

وإذا كان الأب قد اضطلع بمهمة التأسيس في التعليم والتأريخ، فإن الابن نهض بمهمة التوسيع والتدقيق، فالتقى الجهدان عند غاية واحدة: صيانة الذاكرة الزبيدية، والدفاع عن مكانة المدينة بوصفها منارة علم، لا أطلالًا تُزار. وتجلّى هذا المعنى كذلك في توجه الأسرة عامة، حيث اتخذ بعض أبنائها مسارًا عمليًّا ثقافيًّا يربط التراث بالحياة، ويقدّم التاريخ في صورة معاشة لا معروضة.

وبحسب ما اطّلعتُ عليه من أثره العلمي، فإن عَرَفَات بن عبد الرحمن الحضرمي يُعدّ من الأصوات الجادّة في كتابة تاريخ زَبِيد المعاصر، صوتًا لا يستعجل الخلاصة، ولا يطلب التصفيق، وإنما يراكم الجهد لبنةً لبنة، حتى ينهض البناء متماسكًا. وهو بذلك شاهدٌ على أن بعض الرجال لا يحفظون التاريخ بالكلمات وحدها، بل بالمنهج، ولا يخلّدون المدن بالضجيج، بل بالأمانة.

فهذه مقامتي فيه، شهادةَ نظرٍ لا مجاملة، وروايةَ اطلاعٍ لا ادّعاء:

أن عَرَفَات بن عبد الرحمن الحضرمي اسمٌ إذا ذُكر تاريخ زَبِيد العلمي حضر، وإذا فُتح باب التوثيق كان من حُرّاسه، وأن جهده وإن خلا من الادعاء غزيرُ الأثر، بعيدُ المدى، باقٍ ما بقي للتاريخ أهلٌ يصونونه.

وما يميز جهوده كذلك غزارته في تتبع الروابط بين الشخصيات العلمية، وبين الأسر العلمية، وبين المدارس والمساجد، وبين المعارف الموروثة والسياقات الاجتماعية، فلا يكتفي بذكر الحدث أو الاسم، بل يعرضه في نسقٍ متكامل يوضح الانتماء والارتباط والمعنى، فيصبح القارئ أمام صورة حية للمدينة

وعلمائها، وكأنّه يشهد حياة الزبيد العلمية على أرض الواقع.

ويجدر الإشارة إلى أنه لم يقتصر على المشهورين أو العلماء المعروفين، بل وسع دائرة البحث لتشمل المغمورين الذين أوشك الزمن أن يطويهم، فأعاد لهم مكانتهم في ذاكرة التاريخ، وربط أخبارهم بسياق المدينة العلمي والاجتماعي، ليكونوا جميعًا جزءًا من لوحة متكاملة توثق المكان والزمان والعلم.

ومن أبرز ملامح منهجه الدقة في ضبط الأسماء والأنساب، ومراجعة المصادر المتعددة، ومقارنة الروايات قبل اعتماد أي منها، مع التقيّد بأمانة النقل والتحرّي عن الصحيح، مما جعله مرجعًا موثوقًا للباحثين

والدارسين الذين يتطلعون إلى تاريخ الزبيد العلمي والاجتماعي، دون الوقوع في المغالاة أو السهو.

ومع كل ذلك، يظل عَرَفَات بن عبد الرحمن الحضرمي نموذجًا للتوازن بين العطاء والهدوء، بين العمل الميداني والبحث الأكاديمي، بين الحرص على التفاصيل والإحاطة بالمجمل، ويمكن القول إن عَرَفَات بن عبد الرحمن الحضرمي لم يكن مجرد مؤرخ يوثق الماضي، بل كان حاملًا للأمانة الثقافية والتاريخية لزبيد، محافظًا على إرثها العلمي، وموصلًا صلتها بالعصر الحديث، فجمع بين الروح المعاصرة والضمير التاريخي، بين التدقيق والتحليل، وبين الإحاطة بالكل والاهتمام بالتفاصيل.

وهكذا يظل أثره العلمي باقٍ، وجهده التاريخي شاهدًا على ما يمكن أن يقدمه الباحث المخلص لمدينته ووطنه، وإسهامه في صيانة التراث وفي إبراز الزبيد كمنارة علمٍ وتاريخٍ وثقافة عبر العصور، يذكره الزمان، ويستلهم منه كل من أراد أن يعرف قيمة المكان وأهمية الحفاظ على ذاكرته.

بحيث لا يُغريه الظهور الإعلامي، ولا يلهيه الطموح الشخصي عن الهدف الأسمى: صون ذاكرة الزبيد وحفظ إرثها العلمي والاجتماعي.

ومن هذا المنطلق، أصبحت كتاباته نافذة يطل منها الباحث على روح المدينة وعراقتها، وعلى مسارات العلم التي تشقها الأجيال، فهو يجمع بين التوثيق والتحليل، وبين الرواية والمقارنة، ليقدّم للقارئ صورة متكاملة تجمع بين الواقع التاريخي والبعد الاجتماعي والعلمي، فلا تكون الزبيد مجرد مكان، بل حياة مستمرة، ومعرفة متجددة، وذاكرة لا تنطفئ.

وفي نهاية المطاف، يظل اسمه مرادفًا للتاريخ الزبيدي المعاصر، ومرجعًا يُعتمد عليه، وإسهامًا لا يقدر بثمن في ميادين التأريخ والتحقيق، وما يقدمه من تراجم وأبحاث وأسرارٍ محفوظة في مخطوطات المدينة يُعد إرثًا للأجيال القادمة، لتظل زَبِيد حيّة في الذاكرة، عابرة للزمان، شاهدة على مجدها العلمي، وحافلة بعلومها ومآثرها، وكل ذلك بفضل الاجتهاد الصادق لمن حمل لواءها، وحافظ على شعلة علمها، وواصل درب والده في صيانة التاريخ والهوية.

هكذا، يظل عَرَفَات بن عبد الرحمن الحضرمي شخصية فريدة، حاضرة في الزمان، باقية في المكان، ومؤثرة في الذهن، شاهدًا حيًّا على عظمة زبيد، وعلى عمق إرثها الحضاري والعلمي، وحارسًا أمينًا لذاكرتها التي لا تموت.

سوق المطلقات في موريتانيا...
حين تتحوّل العادات إلى أسماء

تقرير من إعداد و بحث :

زينهم عبدالرحمن محمد
كاتب . قاص . باحث . موريتانيا

أحمد بن عفيف النهاري
كاتب . قاص . باحث . اليمن

في موريتانيا، لا تتكرر الأشياء مرتين بالمعنى ذاته. حتى الأسواق، تحمل أرواحًا لا تشبه غيرها، وأسماءً تتجوّل بين المزاح الشعبي، والذاكرة الاجتماعية، والتقاليد الراسخة. ومن بين هذه الأسواق، يبرز ما يُعرف – على سبيل التندر – بـ «سوق المطلقات».

غير أن التسمية ليست اسمه الحقيقي. فالاسم الشعبي هو «سوق التبتابات»، أي سوق النساء اللاتي يبعن الأثاث المستخدم، ويُعرف أيضًا بـ «سوق لفراش»، وهو الاسم الأقرب لمعناه الحقيقي. لكن لماذا ارتبط بالطلاق تحديدًا؟

الجواب يسير في عروق المجتمع الموريتاني:

عندما تُطلق المرأة، وتغادر بيت زوجها دون أن يترك لها المسكن، تأخذ كل أثاث البيت معها إلى منزل أهلها. لكنها لا تستخدمه؛ فالمفارقة العاطفية والعملية تجعلها غير راغبة فيه، فيُحمل إلى سوق الأثاث المستعمل، وهناك تُباع القطع واحدة بعد الأخرى. ومع تكرر المشهد، صار اسم «سوق المطلقات» منطقيًا لدى الناس، لأن أحدًا لا يبيع أثاث بيته إلا إذا حصل انفصال.

هذه الروح الساخرة في إطلاق الأسماء ليست غريبة على الموريتانيين. فحتى الملابس المستعملة تُدعى شعبيًا «فوكوجاي»، لكن العوام يسمّونها «المرحوم»، لأنهم يعتقدون أن الأوروبي أو الأمريكي الذي تخلّص من ملابسه قد مات، وأن ممتلكاته أُرسلت إلى التبرعات. الاعتقاد يرتبط بتقاليد موريتانية أصيلة: فحين يموت شخص، تتصدق عائلته بكل أغراضه حتى لا يظل وجودها يوقظ الحزن.

والأمر نفسه ينطبق على سوق الهواتف المحمولة، الذي يحمل اسم برنامج الجزيرة الشهير «نقطة ساخنة»، بسبب الزحمة الخانقة وكثرة المساومات والتحايل فيه.

لكنّ السؤال الأعمق يبقى: هل يحتفل الموريتانيون بالطلاق؟

الجواب: نعم... ولا.

فالطلاق نفسه ليس حدثًا يحتفل به أحد، فهو فشل زواج في النهاية. لكن المجتمع يحتفل بالمرأة المطلقة بعد انتهاء عدّتها الشرعية. وفي واحدة من أكثر العادات تمايزًا في المنطقة العربية، تُقام لها سهرة خاصة تنظمها صديقاتها، وتُزيّن بكل ما يرفع معنوياتها، ويقف أبناء عمومتها وقبيلتها يلقي كلٌّ منهم الشعر في مدحها، ويتوددون إليها، وقد يتقدّم بعضهم بخطبة رمزية لتأكيد أنها لا تزال مرغوبة، وأن طليقها خسر امرأة محبوبة.

وإذا كان الطلاق ودّيًا، يكون المشهد رمزيًا ولطيفًا. أما إن سبقه خلاف أو تعريض بالمرأة وأهلها، فالتنافس على طلب يدها يصبح حقيقيًا، ومن يفوز بها ينال احترام العائلة، لأنه – في عرفهم – أعاد كرامة ابنة عمه، و«مرّغ أنف خصمها في

التراب»، ويبالغ في إظهار إعجابه بها دعمًا لروحها وزيادة في غيظ طليقها.

أما الرجل، فحاله مغاير تمامًا. فحتى لو كانت الزوجة هي المخطئة، يبقى المتهم الأول اجتماعيًا. إذ ينظر المجتمع إلى الزوج باعتباره المسؤول الأول عن حياة المرأة التي أخذها من بيت أبيها، وعليه أن يوفّر لها مستوى مساويًا أو أفضل، فإن فشل يُعد غير مسؤول. لهذا لا تُحمل المطلقة ذنبًا كبيرًا، بينما يتلقى الرجل نظرات التوبيخ والازدراء.

وتنتشر حالات الطلاق في موريتانيا لأسباب عديدة، منها حساسية التعامل مع الزوجة في مجتمع أمومي لا يسمح للزوج بالتعدد، ولا يقبل التعامل العنيف أو رفع الصوت أو الإهانة. وأجل كرامة امرأة، من الممكن أن تُقام المعارك، فلأجل كرامة امرأة مسلمة أجلي بنو قينقاع عن المدينة، ولأجل امرأة مسلمة صرخت وامعتصماه... جيش المعتصم جيشًا جرارًا. ومع الضغوط ونشوء خلافات يصعب حلها، يصبح الطلاق حلًا متاحًا، لكنه حل لا يترك الخسارة على أحد الزوجين تحديدًا، بل على الأولاد قبل الجميع.

هكذا، تتشكل معاني الأشياء في موريتانيا... بين سوق يحمل اسم المطلقات، وثوب يسمى المرحوم، واحتفالات تُقام لرفع معنويات امرأة خرجت من تجربة زواج غير ناجحة، ومجتمع أمومي يرى في المرأة رمزًا لهيبة القبيلة. إنها حكاية بلد يُنصت للعادات، فتنساب المعاني في أسمائه وأسواقه وسلوكياته اليومية.

ميرغني ابشر عثمان
كاتب . ناقد . باحث
سوداني مقيم في الإمارات
عضو اتحاد الأدباء السودانيين

أغنية الفيل

قصة قصيرة

ومع مرور الأعوام، سافرتُ إلى باريس لأتابع دراستي..هناك، تعجبتْ زميلتي من طولي الفارع ودكانة بشرتي الغامقة، وسألتني إن كنتُ أعيش بين الأكواخ في الغابة. فشغّلتُ لها أغنيةً لأديت بياف. .كانت تظن أن المناخات الاستوائية تسكنها الأفاعي ولا تُنجب أحلامًا. . ولكن دعوني أرتّب الحكاية من بدايتها..أوه، وهل ثمة بداياتٌ حقًّا في حياة الناس؟ أليس ذلك ظنًّا اعتدناه؟ حسنًا، بلاش تفلسف.. فلتكن كسيرةً فكرية..نشأتُ في الحيّ الملكيّ الصغيرِ بجنوب السودان، بين أحاديث المعلمين عند المغيب، على شاي أمي وكتب أبي التي كانت تفيض عن رفوف مكتبته المتوسطة، فتتسلّل إلى بقية أثاث البيت.. تقول جدّتي، متفاخرة، إنني بدأتُ أرسم في الثالثة من عمري..لكني أتذكر جيدًا أن أول قصةٍ رسمتُها وكتبتُها كانت وأنا في الخامسة - أقلامي خليطٌ من الرصاص والألوان الخشبية..كان أبطالي جميعًا متشابهين: شعرٌ أشقر أو أسود ناعم، رجالٌ يُميزهم شعرٌ مقصوص، ونساءٌ بفساتين دانتيل بيضاء، وقبعاتٍ يتدلّى من أطرافها الشعر المسترسل، وأحذيةٍ لامعة، يأكلون التفاح والعنب..كنتُ أكتب لكل زائرٍ على شاي المغيب حكايةً جديدة، لكنها في جوهرها الحكايةُ نفسها - نفس الوجوه، نفس الملامح..لم أكن أحب الطعام، كنتُ أهرب منه إلى ألواني وإلى أغلفة الكتب، أقلّبها بحثًا عن الصور..كنتُ كثيرةَ الأسئلة، أظن أن الأبطال لا بد أن يكونوا جميلين دائمًا، وأن يأتوا من أماكن بعيدة لا تُشبه مدينتنا..حتى قرأتُ الطيب صالح و وول سوينكا، فعرفتُ أن الأبطال يمكن أن يشبهونا: الشعر الأجعد، الجلباب الأبيض، وحتى (لاوي) أكوت - العاملة في بيتنا - قزحيّ الألوان يمكن أن يكون زيًّا جذّابًا في الحكاية..تبدّل عالمي كله.. وبدأتُ أكتب عن النخيل ونسيتُ الزيزفون وأشجار الصنوبر الباردة، وعن طائر "حذاء النيل"، وعن سوق ستة وديك العم دينق، بدلًا من قصصي عن مدنٍ لا تنام وأدخنة السيجار الكوبي.. أدركتُ عندها ضلال الحكاية الواحدة: أن نرى مناخًا واحدًا، وثقافةً واحدة، ولونًا واحدًا.. ثم فزتُ بقصتي "أغنية الفيل" في مسابقةٍ محلية، وكانت الجائزة إقامةً في الإمارات..سافرتُ مع أمي، التي كانت ترى الكتابة ترفًا، وظلّت تردّد طوال الطريق:

(ابحثي عن عملٍ حقيقي يا ابنتي).

أما أنا فكنتُ أنظر من نافذة الطائرة إلى الغيوم وأفكر:

كلُّ غيمةٍ تحمل حكايةً لم تُروَ بعد..هناك، اكتشفتُ أن المدينة لا تنام لأن القصص فيها لا تنام..في الأزقة والأسواق المحكمة التنظيم، في المقاهي، في أضواء البنايات الناطحة

وصخب البحر، كانت الحكايات تملأ الهواء..كل مساءٍ أجلس في المقهى الصغير أسفل الفندق، أطلب قهوتي التركية وأراقب الوجوه..هناك التقيتُ بمئات الأفارقة السُّمر: لاجئون، هاربون من الحروب، وأصحابُ حكاياتٍ متعبة..لكن ابتسام كانت الأشد وجعًا ـ طفلةٌ سودانية على أعتاب المراهقة، عيناها جميلتان كسماء ملكال بعد المطر، وذراعها مبتورة..قالت إن طائرةً قصفت الحافلة التي كانت تقلّهم إلى دارهم قبل الوصول بأمتار، ثم ضحكت وهي تحكي، كأنها تقول:

" لن أمنح الحزنَ فرصةَ الانتصار".

في بيتنا في الجنوب، كانت أكوت ـالفتاة القادمة من أطراف المدينة لتساعد جدّتي ـ تحمل حكايةً أخرى..كانت جدّتي تقول لي:

"احمدي الله، فـ(أكوت) لا تملك سريرًا تنام عليه "..فامتلأ قلبي بالعطف، حتى خُيِّل إليّ أنني أملك الدنيا لأنني أملك وسادة..لكن حين زرتُ حيَّها ذات مساء، ورأيتُ السلال المنسوجة بتشكيلاتٍ حذقة والمعلّقة على أعوادٍ معدّة لذلك في عريشة البوص،اعترتني دهشةٌ بهيجة، وانخطر في وعيي حكمةُ الجدّات: كيف فاتني كل هذا الجمال؟..

كانت تلك أول مرةٍ أدرك فيها خطر النظرة الواحدة ـ أن نختزل إنسانًا في سردٍ ناقصٍ ونغفل عن ألوانه الكاملة..ذات صباح، قرأتُ في صحيفةٍ ثقافية قصةً تشبه مدينتي "أخيلةُ الدخان"..تتحدث عن أبٍ يستمع إلى راديو الـBBC على صدره، وعن أمٍّ تحلب نعجةً في فجرٍ رطب، وعن صبيٍّ رفع هاتفه بحثًا عن شبكة، قبل أن يهزّ الانفجارُ أركانَ القرية..سقط اللبن، تطاير البعر، وارتطم الراديو برأس الصبيّ...وفي آخر الرسالة المهشّمة على شاشة الهاتف، لم يبقَ سوى حرفين يسبقان كلمةً مطموسة: "لا"...منذ ذلك اليوم، صرتُ أُصغي..أُصغي إلى الحكايات التي تُروى بصوتٍ خافتٍ أو بنظرةٍ صامتة..أدركتُ أن العالم لا يفتقر إلى القصص، فقط إنه لم يُحسن الإصغاء بعد، بدليل إصراره على إنتاجها بهذه الوتيرة المتزاحمة..متى يكفّ عن التأليف؟ أظنه ينتظر حكمةَ الغابة.

قصتي التي عبرت الحدود ألهمتني إياها خاطرةٌ لكاتبةٍ نيجيرية لا أدري أين وقفتُ عليها ـوحتى لا أكون مدلسة، عليَّ أن أخبركم بذلك باكرًا..كانت بابًا صغيرًا فُتح على مئات الأبواب الأخرى..والآن، وأنا أراجع نصّي هذا الذي أكتب، لا أعرف كيف أختمه..هل أكتب نهايةً سعيدة؟..أم مأساوية؟..أم أتركه مفتوحًا مثل أبواب المدينة التي لا تنتهي؟..كل ما أعرفه... أن بابًا واحدًا لا يكفي.

Mahtat Alramal , Alexandria in winter , by Khaled Hanno oil on canvas 50 x 70 cm 2022

محطة الرمل . للفنان التشكيلي المصري . د. خالد هنو

الخبيث ..

رستم عبد الله
كاتب. قاص. روائي. باحث. اليمن

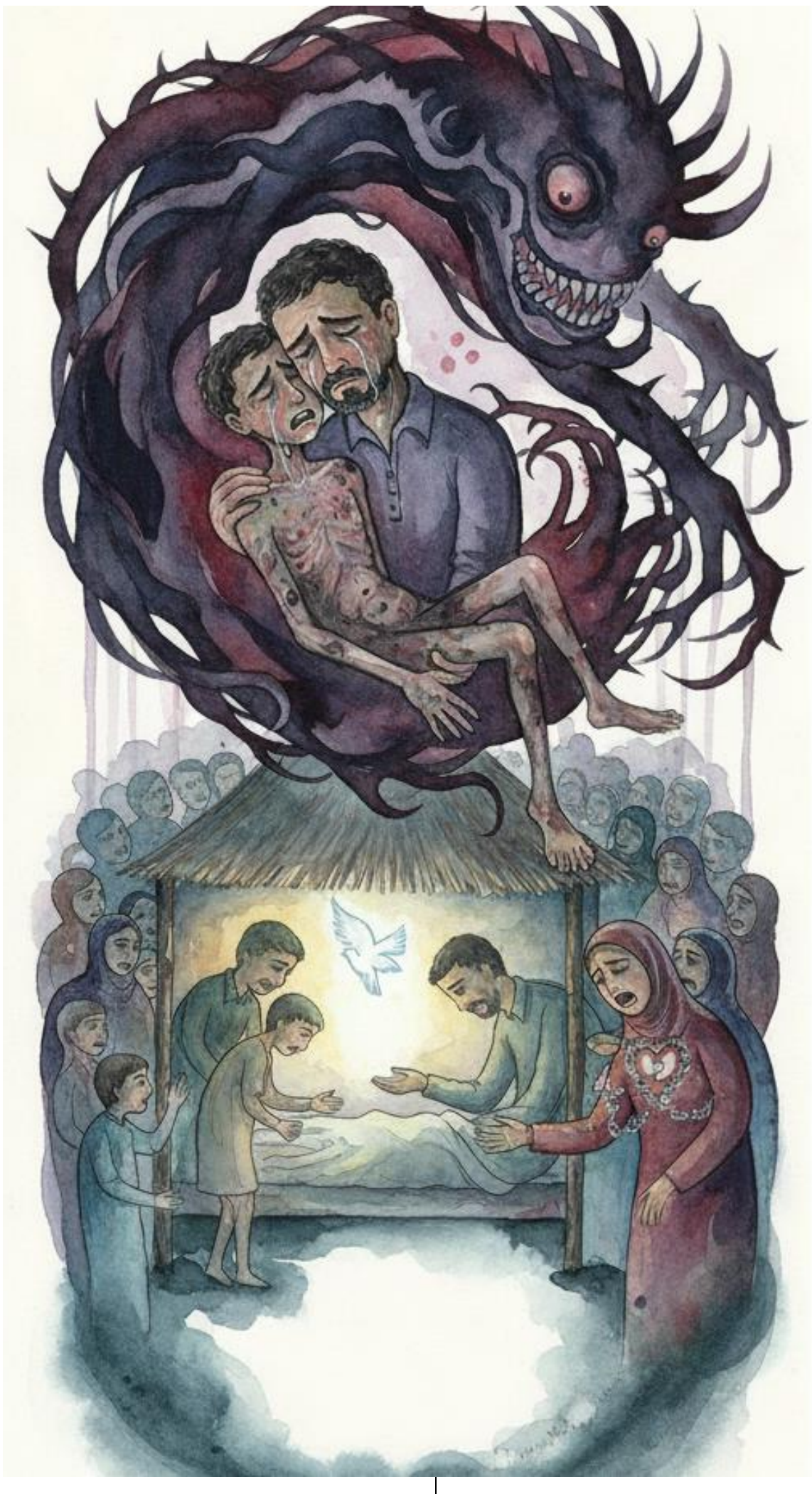

دقَّ جرس المدرسة معلنًا انتهاء الحصة السادسة والأخيرة، فسرت ضجة في الفصل واعتلت البسمة الشفاه، وزغردت الفرحة في نفوس الطلاب. لملم المعلم أشياءه وغادر، واندفع الطلاب بعده فرحين، وأخذ أحمد وسهيل يغذّان الطريق نحو منزليهما.

سهيل: تبقّى لنا ثلاثة أشهر وتنتهي الدراسة، وسننعم بالعطلة المدرسية.

أحمد: ياه، كم أشتاق للعطلة وللسفر إلى عدن لقضائها هناك والسباحة!

سهيل: وأنا كذلك، سأقضي العطلة في اللعب، وسأخصّص بعض الوقت لمساعدة أبي في عمله.

مرّ أسبوع منذ هذا الحديث، وسهيل متغيب عن المدرسة.

المعلم: من منكم يعرف سبب تغيب سهيل عن المدرسة؟

أحمد: يُقال إنه مريض يا أستاذ، وتم إسعافه إلى المدينة.

مرَّ شهر ولم يعد سهيل من المدينة، وتواردت الأخبار إلى المدرسة بأن سهيل مريض بمرض غير حميد، وأن أباه العامل البسيط قد باع كل ما يملك واستدان لعلاجه دون جدوى، وأن علاجه يتطلب السفر إلى الخارج.

تبرع مدرّسو القرية والطلاب والطالبات وجميع أهالي القرية بمبالغ كبيرة لمساعدة والد سهيل على السفر به إلى الخارج للعلاج.

وفي المدينة أيضًا، كان هناك العديد من أهل الخير والصلاح الذين قاموا بجمع التبرعات، كما ساعدت بعض المؤسسات الخيرية في تسهيل سفر سهيل ووالده للعلاج في الهند.

اتصل والد سهيل بأمه التي كانت تتلظّى حرقة وألمًا وشوقًا على ابنها الذي سافر فجأة بفعل وطأة المرض، وكانت تأمل هي وإخوته بتعافيه وعودته سريعًا بعد أن يزور أرقى مستشفيات المدينة. تحدث سهيل، ابن السبعة عشر ربيعًا، مع أمه

بصوت بدا عليه الإعياء، مصحوبًا بالتفاؤل، وطلب منها الدعاء.

مضت أربعة أشهر، وسهيل يخضع للعلاج الكيماوي في الهند، لعلاجه من ذلك الوحش الخبيث الذي جثم على صدره وعلى أحلامه، وانتزع طفولته، وحوّله في لحظات معدودة — وعلى غفلة من الزمن ومن أبويه — إلى حطام إنسان. أفقده الشهية والوزن، وحوّل جسده الطري إلى جلدٍ أسودٍ يكسوه الهزال، خلفه بقايا طفل.

كانت حالة سهيل تزداد سوءًا يومًا بعد يوم، والأب يبعث الأمل الكاذب والاطمئنان إلى أمه وإخوته ومدرسيه في القرية، الذين كان يأكلهم القلق عليه. حتى زملاؤه في الفصل، الذين غابت عنهم الفرحة، لم يسعدوا بطلوع نتيجة الامتحان ونجاحهم وحلول العطلة الصيفية التي طالما تشوّقوا وانتظروها ثمانية أشهر.

بعد أن استنزف أطباء الهند كل ما جمعه والد سهيل في رحلة المرض والوجع، راحوا يسدون له نصيحة بأن يعود به إلى اليمن، ليعيش أيامه الأخيرة قرب أمه وأخواته.

عاد سهيل إلى القرية محمولًا بين ذراعي والده المكلوم، كأنه فرخ صغير، وقد نهشه المرض، وتبدّى الشحوب والإرهاق الشديد على محيّاه الذي غطّته كتل سوداء، وسهيل غائب تمامًا عن الدنيا.

احتشدت القرية بأكملها لاستقباله، وهرولت الأم المسكينة تبكي، والألم والوجع يعتصرانها وهي تحتضن فلذة كبدها بقوة، قبل أن تنتشلها ذراعا أخيها القويتان.

في منزل الأسرة المتواضع، كان سهيل يرقد في سريره الذي اشتاق إليه كثيرًا، وأمه وإخوته يحيطون به، يتمنون أن يشتهي شيئًا ليوفروه له. لكنه، وقد فقد شهيته ووزنه ونضارته، لم يطلب شيئًا البتة.

إلى أن كانت ذات ليلة باردة، حزينة وكئيبة، وبصوت واهن وضعيف يكاد يُسمع، أخيرًا نطق، وطلب من أمه وأباه وإخوته أن يبقوا بقربه. ظلّ يرنوا إليهم بعيون متعبة خلت من البريق، والحمّى الساخنة تصلي جسده، والعرق يتساقط منه بغزارة، وأخته الصغرى تجاهد لتجفيفه.

لقد شعر سهيل، ذاك الطفل الصغير الحالم، بفراسة وبراءة الطفولة، بدنوّ أجله، وأن ذلك الوحش الخبيث المدعو بالسرطان قد تمكّن منه أخيرًا، وكان يريد أن يقضي لحظاته وأنفاسه الأخيرة بقرب أحبته.

فراح، محشرجًا وبصعوبة بالغة، ينطق بالشهادتين، وفاضت روحه إلى بارئها...

وساد صمت مطبق، ومخيف، مخيف جدًا في المنزل.

تلك الأشياء ..

رحاب مدين
شاعرة . قاصة . مصر

قال: هل أخطأتِ معه؟

قلت: الأخطاء التي فعلتها معه كانت صحيحة! ارتكبتُها، وذهبتُ أبكي كما شئت!

قال: في أي وقت عثرتِ عليه؟

قلت: في توقيتٍ خاطئ، وبلحظةٍ صحيحة!

قال: هل صدقته؟

قلت: بإيمانٍ راسخ أُصدق كل ما يُخبرني به!

قال: كيف صمدتِ كل هذا الوقت أمامه؟

قلت: لم أصمد... كل جزءٍ مني كان ينهار أمامه، هو الذي لم يره!

قال: هل ترين العتاب يعيده إليك؟

قلت: من لا يجلبه الشوق، لا يجلبه العتاب!

قال: أنتِ معلّقة به؟

قلت: معلّقة بروحي، والتعلّق بالروح ابتلاءٌ قاسٍ لا شفاء منه!

قال: عودي إلى نفسكِ القديمة؟

قلت: نفسي التي كنتُها قبل أن أعرفه! صدقني، هي لا تستحق عناء عودتي! تكلفة البحث عنها تفوق قيمتها بكثير! لذا دعها في أعماق النسيان!

قال: هل سمعتِ منه كلمة حب؟

قلت: كان اهتمامه بي في لحظات ضعفي أهم عندي من أي كلمة لا تُجدي!

قال: اذكري لي شيئًا أحببتِه فيه؟

قلت: حدّثته بما يؤلمني، فوجدته يُصغي! كنتُ عندما يتراكم عليّ كل شيء أذهب إليه، لعلّه يغيّر قدري! جعلني أستعيد نفسي!

قال: بما شعرتِ وأنتِ تحادثينه؟

قلت: كأنّي طيرٌ من طيور الجنة! حلّقتُ على حافة الكون بين الجنة والنار... ولكنّي لم أهبط في إحداهما!

قال: هل أوصلكِ الحديث معه إلى أي شيء؟

قلت: أوصلني إلى حائطٍ مرتفع أسند عليه رأسي لأبكي!

قال: أنتِ عجوز... السنوات تُغلق أبوابها أمامك؟

قلت: لكنها لم تنتهِ بعد! نحن أحرار في أي تاريخ نبدأ! يطوف في خيالي ألوانٌ من الأماني... أننا على قيد الحلم!

قال: احكي لي عن أمنياتك؟

قلت: أتمنى ألّا ينتهي الطريق بيننا يومًا! أتمنى أن أكون أنا هو! وأتمنى أن أحيا بقية عمري بهذا الشعور!

قال: هل تغارين عليه؟

قلت: فعلت، أكلتني الغيرة ثم عدت، وتذكرتُ أنه ليس لي! لا أحد يعرف ما تفكّر به امرأة تشعر بالغيرة! لا أحد تحرقه نيرانها غيرها! الغيرة أبشع المشاعر الإنسانية قبحًا! دعني لا أُخبرك عن هذا الشعور!

قال: ماذا تكتبين الآن؟

قلت: قصتين! الأولى أعيشها، والثانية أتمنى أن أعيشها!

قال: هل وجدتِ الراحة معه؟

قلت: من تجمعهم أوجاعٌ واحدة... دائمًا يشعرون بالارتياح معًا!

قال: ما أجمل ما قدّمه لكِ؟

قلت: جعلني أستطيع! أخبرني بهذا، وصدّقته! أولًا يكفي هذا... أن يتّحد كل شعورٍ تريده في شعورٍ واحد!

قال: وهل اجتمعتما يومًا؟

قلت: إن القمر والشمس جمعتهما سماءٌ واحدة، ولكن فرّقهما الزمن!

قال: متى تشعرين بالضعف؟

قلت: حين أشعر بافتقاده، فأجدني أذهب وأتشبّث بموطن القوة القديم لديّ!

قال: وهو متى يضعف؟

قلت: حين يستعيد ذكرياتنا معًا، ويرى تفاصيلها الصغيرة!

قال: ما الذي جعلكِ تتمسّكين به؟

قلت: مخيفٌ كل شيءٍ حولي، لم أعرف طريقًا للهروب غير الطريق الذي أسلكه إليه!

قال: متى تشعرين بالانتصار؟

قلت: حين أنتصر على الحياة، على آلامها وأنا صامتة!

قال: أكان هو سببها؟

قلت: كان أحدها!

قال: هل انتصرتِ عليه؟

قلت: هزائمنا أمام الأحبة نصرٌ شريف ترضاه قلوبنا! لا قيمة لنصرٍ يلطّخه الألم، إنه النصر الوحيد الذي يفقدك وطنك!

قال: هل تسامحينه؟

قلت: لكنّي أحزن على نفسي! من المريح للتعساء أن يتشاركوا تعاستهم!

قال: انتبهي، هناك حل!

قلت: ما هو؟

قال: أن تذهبا معًا بعيدًا!

قلت: إنه أكثر الحلول استحالة!

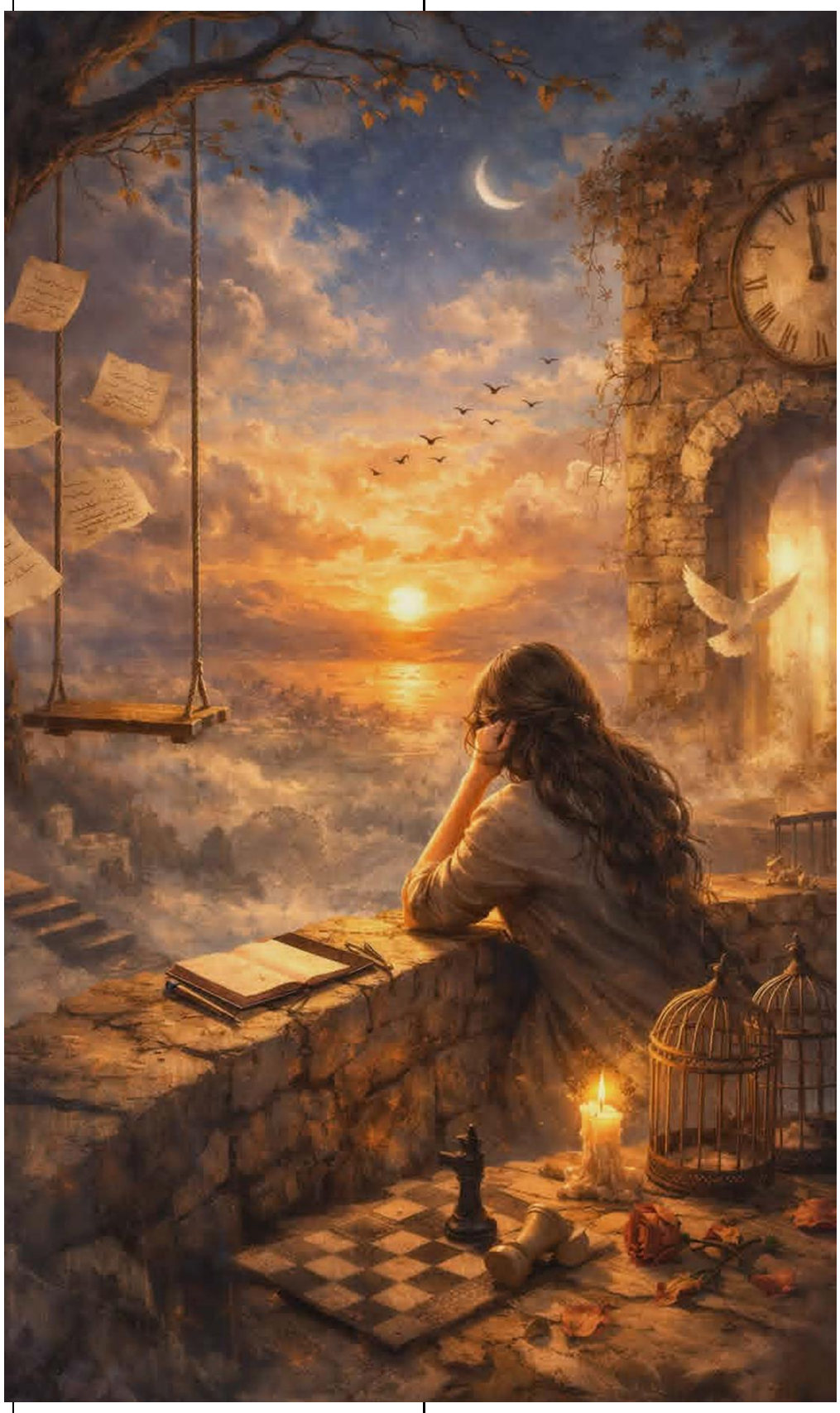

قال: ما بإمكانكِ؟

قلت: أن أكون الشخص الذي أحلم به!قال: وما ليس بإمكانكِ؟

قلت: أن أكونه!

قال: ولِمَ؟

قلت: لأنه ليس معي!

قال: دعيني أفهم منكِ أشياء تعلّمتِها معه؟

قلت: في علاقتنا تلك تعلّمنا نحن الاثنان أشياء ذات قيمة!

تلك الأشياء...

لم نعثر عليها إلا حين التقينا! الوفاء، الحرية، الأمل...

قال: قل لي ما الوفاء؟

قلت: إنّي على ذكراه باقٍ!

قال: ما البصيرة؟

قلت: ألّا يغيب عن أفق روحك!

قال: ما السمع؟

قلت: أن تُصغي إلى صوت وجوده!

قال: ما الإيمان؟

قلت: أن ينطق بالتوحيد جسدك وروحك في آنٍ واحد، بأن لا محبوب غيره!

قال: ما المستحيل؟

قلت: ألّا تؤمن أن بعد القطيعة... تلاقي!

قال: ما الندم؟

قلت: أن تمضي بنا الحياة قبل أن نحياها!

قال: ما الحرية؟

قلت: أن تُصفّدك أغلال الهوى مختارًا!

قال: وما العفاف؟

قلت: أن أرى جنته مفتّحة الأبواب ولا أدخلها!

قال: ما الهوان؟

قلت: أن تعشقه وهو لم يعدك حبًا!

قال: وما الشجاعة؟

قلت: أن نجاهر بالعشق ولا نبالي!

قال: وما الصمود؟

قلت: ليلٌ تكافح فيه الشوق وحدك!

قال: وما الجهاد؟

قلت: أن تتكتم على بلاء العشق!

قال: وما الأسف؟

قلت: أن تخسر في صفقات الحب نفسك!

قال: متى تفتح الجنة أبوابها؟

قلت: عاشقٌ متلهّف يفتح ذراعيه!

قال: وكيف الفردوس؟

قلت: أن أرتمي بينهما!

قال: وما التوبة؟

قلت: أن أعود إليه بعد فراقٍ موحش!

قال: وما الأمل؟

قلت: قمرٌ أراه في السماء، ومنذ أحببتُ... صار يتبعني!

قال: ما الزهد؟

قلت: أن ترضى من الدنيا بما لا تودّه!

قال: وما الفقد؟

قلت: شبابٌ أضاعه الزمان ولم يرده!

قال: وما الخسارة؟

قلت: أن تراهن على الآخر!

قال: ما الخريف؟

قلت: خصلات شعري المتساقطة على وسادتي! في غابة الخوف أجبرني الخريف على إسقاط أوراقي!

قال: أي كلمة تعيدكِ إليه؟

قلت: لا أعرف... مجرّد كلمة!

قال: نصف شتاءٍ قضيته تحكين عن قطيعتكِ، وتعودين إليه بكلمة؟

مجيدة محمدي
كاتبة. باحثة. شاعرة. قاصة. تونس

طائرة ورقية

في حقلٍ أخضرَ فسيح، كنتُ أركض كأن الأرض تُفتح لي طريقًا من ضوء. جدائلي الشقراء تتطاير خلفي مثل أثرٍ من موسيقى، وذراعاي تمتدان كجناحين طليقين، يصافحان الهواء ويستدرجان النسيم إلى لعبة سرّية. كان فستاني الصغير، المُزهر كحديقةٍ مصغّرة، يرتفع بخفّة كلما قفزتُ، كأنه هو الآخر يريد أن يطير.

لم أكن أعرف لماذا يلمع العالم كله بتلك الطريقة، ولا لماذا كان العشب يضحك تحت قدميّ. كل ما كنت أعرفه أن شيئًا ما في روحي يتّسع، كما لو أن طفولتي تتحوّل إلى طائرٍ يريد أن يفلت من قبضتي.

ثم رأيته... خيطٌ طويلٌ يمتدّ بين العشب كأن الأرض تبوح بسرّها. انحنيتُ نحوه، لامسته برعشة دهشة، ثم بدأتُ أتتبّعه. كان ينساب أمامي كنبضٍ خفيّ... حتى انتهى فجأةً إلى طائرةٍ ورقيّةٍ ترتجف في السماء. قبضتُ على الخيط بقوّة، ورفعتُ الطائرة أعلى... أعلى... كانت ترتفع كلما تشبّثتُ بها، وكأنها ترفعني معها، تجذبني إلى سماءٍ أعشقها، وأريد بلوغها...

وفي اللحظة التي شعرتُ فيها أنني أكاد أغادر الأرض، انقطع شيءٌ ما.

فتحتُ عينيّ.

لم تكن السماء فوقي، بل سقفٌ أبيضُ باهت. ولم يكن الخيط في يدي، بل طرفُ لحافِ سريرٍ بارد. أنفاسي تتردّد في صمت الغرفة، وأصواتُ أجهزةٍ خافتة تطرق أذني كأنها خطواتٌ بعيدة.

نظرتُ إلى يديّ المرتجفتين... ما زالتا تقبضان عليه كما لو أنه آخر ما تبقّى من ركضي بين الأعشاب.

هناك ـــ عند حافة الوعي ـــ كانت الطائرة الورقيّة تبتعد، تتلاشى. وكنتُ أمدّ يدي نحوها، لا لأمسك بها، بل لأمسك بتلك الطفلة التي ركضتْ في الحقل ذات يوم... الطفلة التي بدا لي، فجأة، أنني ما زلتُ ألاحقها منذ زمنٍ طويل.

طفولتي... كانت هي الطائرة الضائعة. وأنا ـــ هنا، على سرير المستشفى ـــ لم أكن سوى امرأةٍ تُحاول أن تستعيد خيطها الأخير قبل أن يضيع في الريح...

عيشة صالح
كاتبة . قاصة . شاعرة . اليمن

النهار العاري ..

في ذكـــريات النهار العاري من شغـــفٍ عـــادَ الرجـــاءُ الذي باعتـــه أزمـــانُ
يا وردَ تشـــرينَ هل زانت لنـــا طـــرقٌ كـــم قـد تخفـّت بها في الليل نـــيرانُ
كم رُدِّدَ النـــصرُ لكـــنْ ظـــلَّ موعدُهُ يهفـــو إليـــه فلا ينـــساه مـــيدانُ
والناسُ تقـــتاتُ من صبرٍ يتـــيه بهم كـــأنَّ أعـــمارَهم في الزيف ضِعـــفانُ
قد شاختِ الشمسُ فوقَ السَّطحِ من عطشٍ وصـــارَ ماءُ المُـــنى في الكفِّ دخّـانُ
نَمضي إلى العـــيدِ والأبـــوابُ موصـــدةٌ كأنَّ مفـــتاحَها المنشـــودَ نسيـــانُ
يا موطنَ الضـــوءِ هل تُبقي لنا أمَـــلا أم أن درباً مـضى يدنـــوه سَـــجّانُ
جـــرُحُ الـــزوايا وإنْ طيَّبْتُ قافـــيتِي ما زالَ في قلبـــِها المكلـــوم يقظـــان
في رايـــة ثكلى ألوانهـــا بهـــتت حارت بها أرضـــها والأرضُ إنـــسانُ
أنفـــاس فـــجرٍ تمـــاهت كي تخبّرنا أنَّ الطـــريقَ وإن طـــالت ســـتزدانُ
في ظـــلمة الكهـــف لا خـــوفٌ يبدِّدُنا مـــا دامَ في صـــدرنا للحـــُلمِ عنوانُ

ذاكرة الضوء

هدى حجاجي أحمد
كاتبة. شاعرة. روائية. مصر

كان وجهُه يقطرُ من شقوقِ الضوء،
يصهرُ الوقتَ في كفِّ الخيال،
ويُعيدُ للكونِ ذاكرتهُ الأولى.
لم أدرِ من أين جاء،
ولا كيف استطاع أن يخلخلَ السكونَ فيّ،
كأنَّه نادى شيئًا قديمًا كنتُ قد نسيته،
شيئًا يخصُّ البدءَ الأوّل في روحي.
كلُّ ما حولي توقّفَ في تلك اللحظة،
حتى صريرُ الوقتِ على جدرانِ الساعات،
حتى أفكاري التي كانت تركضُ نحو المجهول.
سكنتْ جميعها كأنها تخشعُ أمام طيفٍ يتنفّسُ النور.
نظرَ إليَّ بعينين من زمنٍ آخر،
وقال بصمتٍ كامل:
"تذكّري من أين جئتِ،
فالنورُ لا يُخلَق، إنّما يُستعاد."
حينها شعرتُ أنَّ وجعي يذوبُ،
وأنَّ شيئًا داخلي بدأ يتذكّر نفسه.
لم يكن وجهُه وجهًا بشريًا،
بل مزيجًا من طمأنينةٍ وحنينٍ ودهشةٍ أولى.

غاب كما أتى — بلا صوتٍ ولا ظلّ —
لكنَّه تركَ خلفه وهجًا يسكنني.
ومنذ تلك اللحظة،
كلّما أغلقتُ عيني،
كنتُ أراه يمرُّ في داخلي،
كأنَّه يقول:
"من يعرفُ أصلَ النور، لا يخافُ العتمة بعد الآن."

محمد علي الفراية
كاتب . شاعر . الأردن

الرحى ..

خلفي زنازين العقول
كَسرتُ ضِلعكِ وانسلختُ مِنَ العظام.
مُتوقعاً طحني على حَجرِ الرحى
حتّى
اتجهتُ إلى رموز الغيم
أمطرتِ السحائبُ
طفلها ...
فوضىً أمامكَ....لا تخف..
الغيمُ قال
من يسمع الدخّان في شكوى الحريق ؟

الناسُ ترفضُ دعوتي . .
الناسُ
تركضُ في المسافةِ
بين خُبزكِ والدقيق
من يستبيحُ جدارِكِ العالي
ويسرق لقمتين
الزرعُ أقصرُ من بذور الفجر
حولكِ

والسنابلُ
حِنطتي
الناسُ أدمنتِ اللهاثَ
وأنتِ يُعجبُكِ الرقيق .
أنتِ استبحتِ سنابلي
ونثرتِها جوعاً
وذلاً
فوق قارعة
الطريق *

* اللوحة المرفقة للفنان : عمر بدور

97

قطـــــــ

أمل رفعت
كاتبة. قاصة. مصر

حمل كاذب و قصص أخرى
قصص قصيرة جدًا

بدون عنوان

سارت حواء على أطراف الأنامل،
بعدما انفلق الضلع، وأسفر عن
وجودٍ تجهل ماهيته.

نظرت إلى الماء المقدّس، فرأت
صُنعَ الله.

أحسَّ بها تسري في دمائه،
وبالرغم من ضوضاء صمتها
عرفها.

أنيسُ الوحدة، قبل أن يتحقق
الحلم، انفجر الشريان.

انبجست الأرض حينما أكلا من
الشجرة؛ فنزلا من الجنة، وثالثهما
الشيطان!

زُهري

يتحرك السهم بقوة، يندفع محمّلًا
بسمٍّ قاتل.

لم يخطئ التصويب حينما وجّهه
الجالس خلف الشاشة الزرقاء إلى
قلبي المسكين.

كان يعلم بأنني مطلّقة، ومعي
مؤخرٌ لا بأس به.

وجعني قلبي قليلًا حينما علمتُ
بالمصيدة،

وفرح قلبه كثيرًا حينما علم
بإصابتي بسهمه.

العدوى مدمَّمة، حملها رأس
السهم،

رُدّت إليه بصاعقة.

اختلطت دماؤنا، جمعنا قبرٌ واحد!

عبيد

حاولت أن أثنيهم عن الأوثان، لم
يحالفني الحظ كثيرًا.

قلّةٌ منهم صبئوا بمعبوداتهم، ما
لبثوا أن عادوا.

لم أيأس؛ صنعت لهم أصنامًا من
العجوة،

أكلوها من شدّة جوعهم،

رجعوا لكبيرهم، صلّوا في
محرابه،

وشكروه على نعمته.

حملٌ كاذب

يصير الحلم جنونًا،

فأسير على أطراف صبري.

يحمل انتظاري شمعة الأمل؛

لأخرج من دائرة الوهم مترنّحة.

مصطفى عبدالملك الصميدي
كاتب. شاعر. اليمن

درك النسيان

مَنْسِياً في دركِ النّسيان،
مَأخُوذاً بالحُلُمِ المُنْسَىَ أَخْذَاً هَدَّامْ،
حيث الظَّلْماء تُناغِي الحَرب
على ناي الأحزان،
يرتعِشُ النَّوم على جفْنِي،
ويخِرّ الليلُ على صدري
بشواظٍ من نارِ الأهوال.
الظِّلُ يمُدّ يَدَاً هَوْجَا
فتَصير جِدَاراً من رملٍ
تَغزِلْهُ الرِّيحُ كما الأكفان.
أمْتَدُّ على نفْسِ المَرسَىَ

أحصِي ذَرَّات اليأس هُنا،
ومقام عروبتنا زبداً
ينصَبُّ سِنيناً مِن خُسران،
وركامُ الماضي بقى اسماً
مغسولاً من ظمَأ الدخان،
وخيام نزوحٍ أَبْلتَها
سَفعاتُ الشمسِ على الشَّطآن.
خدَعتْنِي أربابُ الآمال.
وحياتي دَنَّسَ معبدها
مَسْخ الإفْرِنْجة والشيطان.
نَحَرَتْ صلواتي أيادي الليل

بمديةِ أوجاعٍ وحصار.
صاحتْ في صدري لِسان النار،
سمِعتُ بزفرَتِها جوعاً
يبكي في حنجرتي أزمان!
أَغَدِي ينبتني صَبَّاراً،
أو يسقي سكوت الدّهر غَدِي
مُرّاً من تبعاتِ الخذلان؟
لا ذِكر يُعَنْوِن ناصِيَتي،
لا حلم يُجِيد مناصرتي،
مذعوراً من فعلِ الإنسان
منسِياً في درك النسيان.

حلم في ليلة رأس السنة

الصحة أولا يا صوفيا

مسرحيتان قصيرتان للأطفال

المبدع الحقيقي

اللوحة للتشكيلي الأردني عمر بدور

حُلْمٌ فِي لَيْلَةِ رَأْسِ السَّنَةِ

غفران حداد
كاتبة. قاصة. لبنان

تأملت نُورُ سَقْفَ خَيْمَتِهَا الْمُهْتَرِئَةِ، الْحَرْبُ أجبرت عَائِلَتَهَا عَلَى النُّزُوحِ مِنْ بَلْدَةٍ إلى أخرى، بَيْتُهَا الدافئ وَغُرْفَتُهَا الْجَمِيلَةُ وَكُتُبُهَا الْمَدْرَسِيَّةُ وألعابها أصبحوا بعيدين عَنْهَا، كَانَتْ الْأَمْطَارُ تَهْطِلُ بِقُوَّةٍ مِنْ سَقْفِ الْخَيْمَةِ وَبَاقِي الْخِيَامِ، كَانَ وَالِدُ نُورٍ يُحَاوِلُ تَرْقِيعَ الْخَيْمَةِ، وَدَفْعَ الْمِيَاهِ خَارِجَهَا. لَسَعَاتُ الْبَرْدِ تَضْرِبُ جَسَدَهَا النَّحِيفَ، أغمضت عَيْنَيْهَا وَنَامَتْ رَغْمَ شُعُورِهَا بِالْبَرْدِ وَالْجُوعِ، حَلَمَتْ نُورُ إنها فِي مَنْزِلِهَا، نَزَلَ بَابَا نويل مِنْ مَدْخَنَةِ غُرْفَةِ الْجُلُوسِ، كَانَ يَرْتَدِي الْفِرَاءَ بِالْكَامِلِ مِنْ رأسه إلى قَدَمَيْهِ، حَامِلًا أَكْيَاسٍ مَلِيئَةً بِالْأَلْعَابِ أَلْقَاهَا مِنْ عَلَى ظَهْرِهِ. كَانَ بَابَا نويل جَمِيلًا حُدُودُهُ حَمْرَاءُ كَالتِّفَاحِ وَأَنْفُهُ صَغِيرًا مِثْلَ حَبَّةِ الْكَرَزِ، وَكَانَتْ لِحْيَتُهُ عَلَى ذَقْنِهِ بَيْضَاءَ نَاصِعَةً مِثْلَ الثَّلْجِ، وَعَيْنَاهُ لامعتان كَالنُّجُومِ الْمُتَلَأْلِئَةِ. - حَقًّا أنت بَابَا نويل، قَالَتْ نُورُ - نَعَمْ أنا هُوَ يا صغيرتي - لَمْ أَكُنْ أراك إلا فِي أَفْلَامِ الْكَارْتُونْ. - بَلْ أنا شَخْصِيَّةٌ حَقِيقِيَّةٌ جِئْتُ إِلَيْكِ لأحقق لَكِ مَا تَتَمَنَّيْنَ "قال بابا نويل - أتمنى أن تَكُونَ لَدَيَّ خَيْمَةٌ لَا يَدْخُلُهَا الْمَطَرُ وَمَوْقِدُ حَطَبٍ

نتدفأ عَلَيْهِ أنا وأسرتي وَمَائِدَةٌ عَلَيْهَا الطَّعَامُ وَالْحَلْوَى، وأحلم أيضا أن تَنْتَهِيَ الْحَرْبُ، وَنَعُودَ إلى بَيْتِنَا. ابْتَسَمَ بَابَا نويل، وَقَالَ "سأحقق لَكِ مَا تَحْلُمِينَ بِهِ". ثُمَّ فَجْأَةً اختفى بَابَا نويل صَعِدَ إِلَى الْمُدَخَنَةِ وَقَفَزَ إلى زَلَاجَتِهِ، وَأَطْلَقَ صَافِرَتَهُ لِلْغَزَالِ الَّذِي يَجُرُّ عَرَبَتَهُ، وَطَارَ بَعِيدًا فِي السَّمَاءِ مِثْلَ زَغَبِ الشَّوْكِ. اسْتَيْقَظَتْ نُورُ مِنْ نَوْمِهَا عَلَى أصوات زَغَارِيدِ أمها وَالنِّسَاءِ اللَّوَاتِي يَعِشْنَ فِي الْخِيَامِ الْمُجَاوِرَةِ، الْجَمِيعُ يَهْتِفُ انْتَهَتْ الْحَرْبُ. انْتَهَتْ الْحَرْبُ. شَعَرَتْ نُورُ بِالْفَرَحِ الْغَامِرِ أَكْثَرَ، حِينَ رأت شَابًّا يَرْتَدِي زِيَّ بَابَا نويل، فَرَكَتْ عينيها وَفَتَحَتْ ثَغْرَهَا مُنْدَهِشَةً "هَلْ أنا أحلم مُجَدَّدًا" نَظَرْتُ إِلَى السَّمَاءِ الزَّرْقَاءِ، لَقَدْ تَوَقَّفَ الْمَطَرُ وَالشَّوَارِعُ مُغَطَّاةٌ بِالثَّلْجِ. كَانَ الشَّابُّ قَدْ تَطَوَّعَ لِكِي يُدْخِلَ الْفَرْحَةَ بِقُلُوبِ الْأَطْفَالِ النازحين يُوَزِّعُ

أكياس الْحَلْوَى وَالْأَلْعَابَ عَلَى الجَمِيعِ وَمَلَابِسَ مِنْ الصُّوفِ اخْتَرَقَ صَوْتَ أمها الدَّهْشَةُ الَّتِي كَانَتْ تُسَيْطِرُ عَلَى مَلَامِحِهَا - هَيَّا يَا ابْنَتِي نَصْعَدُ عَلَى عَرَبَةِ الْحِمَارِ نَحْنُ عائدون إِلَى مَدِينَتِنَا وَبَيْتِنَا، شَعَرَتْ نُورُ وإخوتها الصِّغَارُ بِالسَّعَادَةِ الْغَامِرَةِ شَعَرْتُ أن الْغِزْلَانَ تَجُرُّ الْعَرَبَةَ الْخَشَبِيَّةَ، وَلَيْسَ الْحِمَارَ الْوَدِيعَ، صَوْتُ حَوَافِرِ أَقْدَامِ الْحِمَارِ وَهُوَ يَسِيرُ كَانَتْ تَرِنُّ بِأُذُنِ نُورٍ وَكَأَنَّهَا أَجْرَاسُ عَرَبَةِ بابا نويل الَّذِي رَأَتْهُ فِي الْمَنَامِ. - يَا إِلَهِي الْحُلْمُ أَصْبَحَ حَقِيقَةً نَحْنُ عَائِدُونَ إلى بَيْتِنَا، وَانْتَهَتْ الْحَرْبُ فِي لَيْلَةِ رَأْسِ السَّنَةِ، قَالَتْ نُورُ. آمنت نُورُ أنه مِنْ الْمُمْكِنِ أَنْ تَتَحَقَّقَ الْأَحْلَامُ، وأن اللَّيْلَ الْمُظْلِمَ بِالْأَحْزَانِ وَالْهُمُومِ سَيَأْتِي بَعْدَهُ فَجْرٌ مَلِيءٌ بِالنَّصْرِ وَالسَّعَادَةِ.

الصحة أولا يا صوفيا

شيماء حسين
كاتبة. قاصة . العراق

في صباحٍ دافئٍ وجميل، استيقظت صوفيا مسرعةً نحو المطبخ، تَبحث عن قطع الحلوى الملوّنة التي اعتادت أن تأكلها كلَّ يومٍ قبل الإفطار. وكانت أمّها تقول لها دائمًا بصوتٍ لطيف: "يا صوفيا، إنّ المعدةَ الفارغة لا تحبّ السكر، ابدئي يومكِ بطعامٍ يغذّي العقل والجسم ، لكن صوفيا كانت تبتسم بخجل وتردّ: لكنني أحبُّ طعم الحلو يا أمّي.

ومضت الأيام، وبدأت صوفيا تشعر بثِقَلٍ في خطواتها، وصارت تتعب بسرعة في المدرسة، وبدأت ملابسها تضيق شيئًا فشيئًا. وفي يومٍ ما، لاحظت صديقتها ماريا أنّ صوفيا لم تعد تشارك الأطفال في اللعب، فاقتربت منها وسألتها برفق:

ما بالك يا صوفيا؟ لماذا تبدين متعبة؟

أجابت صوفيا بصوتٍ حزين أظنّ أنني أصبحت كسولة... ربما بسبب الحلوى التي آكلها كلَّ صباح."

ابتسمت ماريا وقالت بفرح: "إذن... فلنغيّر هذه العادة معًا!" خطة ماريا الذهبية للصحة أمسكت ماريا بيد صوفيا، وذهبت بها إلى والديها. وقالت بثقةٍ جميلة: "عمّي... خالتي... صوفيا تحتاج دعمكم، وأنا أريد مساعدتها." ابتسم الأب وقال بحنان: "هذا تصرّف نبيل يا ماريا، ماذا تقترحين؟" أجابت ماريا: "نستبدل الحلوى كلَّ صباحٍ بكوب ماء، ثم فطورٍ صحي، وبعده نلعب لعبة: الاختيار الذكي والاختيار غير الذكي

صفّقت الأم بسعادة وقالت : فكرة رائعة! بهذه الطريقة نتعلّم ونمرح في الوقت نفسه.

"اللعبة التي غيّرت كل شيء "

وفي صباح اليوم التالي، بدأت اللعبة. رفعت الأم تفاحة وقطعة شوكولاتة، وقالت: "الاختيار الذكي: التفاحة. والاختيار غير الذكي: الشوكولاتة على معدة فارغة." ضحكت صوفيا وقالت بحماس: "هذا اليوم... سأختار الذكي!" وبمرور الأيام، بدأت صوفيا تشعر بالخِفّة في جسدها، وعاد النشاط يملأها من جديد، وصارت تشارك الأطفال في اللعب والضحك. وفي أحد الأيام، ركضت نحو ماريا وهي تقول بفخر: "لقد أصبحت أختار الطعام الصحي بنفسي، حتى لو رأيت الحلوى أمامي!" فابتسمت ماريا بدهشة وسعادة: "أحسنتِ يا صوفيا، لقد أصبحتِ قوية بالفعل." "الجسم مثل الحديقة... لا يزهر إلا إذا زرعناه بما ينفعه." "السكر صباحًا يفرح اللسان... ويُتعب الجسد طوال النهار." "العادات تتغيّر خطوةً بعد خطوة، كما ينمو الطفل يومًا بعد يوم." وبهذا قررت صوفيا أن تكون صديقةً لصحتها، وصارت تقول للجميع: "ليس خطأً أن نحبّ الحلو... لكن الخطأ أن نجعله يتحكّم بنا." ومنذ ذلك اليوم، أصبحت صوفيا وماريا مثالًا جميلًا للصداقة التي تُرشد وتُساند، لا التي تترك وتعاتب.

واستعادت صوفيا نشاطها وابتسامتها... لأنها اختارت الصحّة قبل السكر.

عبد الله جدعان
كاتب . قاص . شاعر . العراق

مسرحيتان قصيرتان للأطفال

(1) نهاية الطائر البهلوان

الشخصيات: زهرة النرجس – النحلة - الفراشة - الطائر المحتال
المكان: حديقة
النرجس : يوجد طائر صغير الحجم يدعى ب(البنا ناكويت) يزعجني جداً.
النحلة : كيف يزعجك هذا الطائر؟
النرجس: يقوم بامتصاص رحيقي , لكن من دون أن ينقل حبوب اللقاح إلى زهرةٍ أخرى!
الفراشة للنرجس: هذا لا يرجو منه خيراً!
النرجس: كلامكِ صحيح, ويقوم بتأدية كثير من الحركات البهلوانية!
النحلة [تستغرب] : ياه! يقوم بالحركات البهلوانية من فوقكِ؟
النرجس: إنما يقوم بها من فوقي, فهو غير مؤذٍ لكنه غير مفيد!!
الطائر البهلوان [يقوم بحركات بهلوانية فوق زهرة النرجس]
الفراشة [تنتفض] علينا أن نساعد النرجس ونطرد الطائر من عشه!
النحلة [بارتباك]: نعم..... نعم... لكن يكون بيته قرب أعشاش الدبابير حتى يبعد اعدائه!
الفراشة [بثقة مطلقة] الحل عندي يا صديقتي
النحلة : كيف؟
الفراشة: سأستعين بالفراشة القرمزية الزرقاء الغريبة, التي يبلغ طولها سنتيمتراً واحداً!
النحلة [بسخرية] ماذا ستفعل الفراشة الصغيرة للطائر البهلوان؟
اجابتها الفراشة: لا تتعجلي يا صديقتي, لقد فكرت في خطة لطرد هذا الطائر من عشه!
النحلة: كيف؟

الفراشة: سأطلب منها أن تقوم بإطلاق رائحة كريهة داخلِ عش الطائر البهلوان, حتى لا يعود إليه مرةً ثانيةً!
النحلة: فكرة محكمة, لكن ماذا لو ظهرت الدبابير في أثناء تنفيذ العملية؟
النحلة : يتعلق هذا الأمر بكِ, فيجب أن تقوم نحلة أخرى بإبعاد الدبابير عنا حينما اقوم بالمهمة مع الفراشة القرمزية.
{ تطلق الفراشة القرمزية داخل عش الطائر البهلوان ريحا كريهة ترفرف نحلتان حول العش ويسقط الطائر المحتال ويحاول الطيران إلى أن يبتعد .}
{ تضحك النرجس والنحلة والفراشة }
النحلة : شكراً أيتها الفراشة لأنكما أبعدتما عنا ذلك الطائر المزعج
الفراشة : لا يكفي أن نقدم المساعدة وإنما يجب أن نحسن تقديمها .

(تســـــدل الســـــتارة)

(2) الثعلب المغرور

الشخصيات: الثعلب ـ القطة ـ النمر
المكان : غابة
الثعلب [يعترض طريق القطة]
القطة [بخوف شديد] ميو.. ميو. ماذا تريد مني؟
الثعلب: أني جائع، أبحث عن طعام لي
القطة [ترتجف] لكني لحمي غير صالح
الثعلب: لا أصدق ما تقولين
القطة : أنصحك بأن تأكل طير! فطعمه لذيذ!
الثعلب [يكرر ما قالته القطة] لحم الطير لذيذ؟! حسناً أيتها القطة عندي سؤال فإن كان جوابك يرضيني تركتك تهربين
القطة [لا زالت خائفة ترتجف] نع.... نعم، ما السؤال؟
الثعلب: من أنا؟
القطة [بتباهي وتمطيط الحروف] أنت أشجع مخلوق في الغابة
الثعلب [بفرح يكرر ما قالته القطة] أيعقل أنا اشجع [يضحك ويخرج مسرعاً]
القطة [تتنفس الصعداء] حمداً لله تخلصت من الثعلب المغرور [تخرج مسرعة]

ـ إظلام ـ

ـ إضاءة ـ

المكان: بيت النمر
الثعلب [يقترب من بيت النمر يمشي بتباهي يتحدث في نفسه] أنا اشجع مخلوق في الغابة؟! [يضحك]
النمر [يستفيق من نومه يتثاءب منزعج] ما بك يا ثعلوب ايقظتني من أجمل أحلامي [يصرخ]
الثعلب [من شدة الخوف يسقط على الأرض] آآآآآ
النمر: هيا انهض واخبرني ما حدث معك؟
الثعلب: وصفتني قطة بأنني اشجع مخلوق في الغابة!!
النمر [بغضب يصرخ] ماذا تقول؟ أنت أشجع مخلوق؟
الثعلب [يصطد بساق الشجرة ويسقط على الأرض] نع.... نعم
النمر[بغضب يصرخ] ومن أنا؟
الثعلب [يرتجف خائف] أأ...أنت أقوى مخلوق
النمر[يضحك بشدة] هيا اغرب عن وجهي أيها الثعلب المغرور؟
الثعلب [يهرب ويكلم نفسه بخيبة أمل] ادركت عمق غروري ؟! فأنا ليس بالمخلوق الشجاع كما حسبت نفسي؟!. [يبكي ويسير بخطوات بطيئة]
(تســــــــدل الســــــتارة)

حمود الحربي
كاتب. باحث. السعودية

المبدع الحقيقي

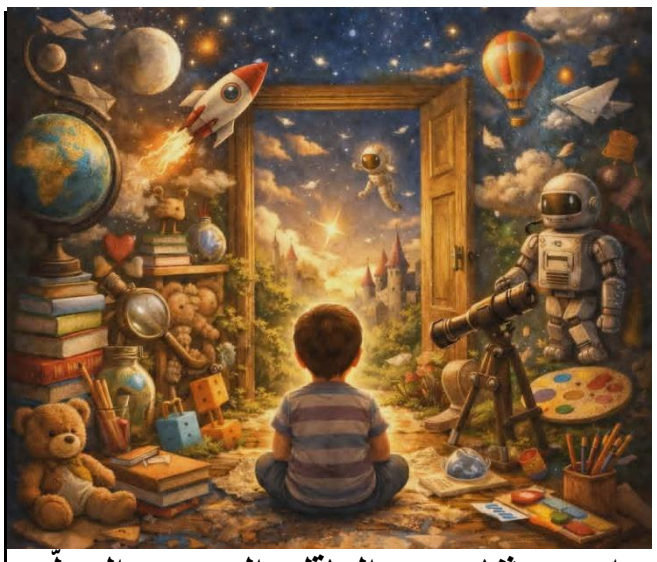

إن بحثنا عن العاقل المبدع، المولِّد للإبداعات المذهلة، فمن الذي سنصل إليه؟

المبدع الحقيقي ليس العبقري، وليس الذكي، وليس الحكيم، وليس النابغة، وليس البليغ، وليس الفطن، وليس الداهية، وليس الشمولي، وليس الموسوعي، وليس الناجح، وليس الفائق، وليس المتفوّق، وليس المفكّر، وليس المنظّر، وليس المبتكر، وليس الملهم، وليس المخترع، وليس المكتشف، وليس الفنان، وليس العالم، وليس الفقيه، وليس القائد، وليس المتفرّس، وليس الخيالي، وليس الماهر، وليس البارع، وليس الموهوب، وليس المتفرّد، وليس المجدّد، وليس الخلّاق، وليس المثقّف، وليس الكاتب، وليس القارئ، وليس الرسّام، وليس الخطّاط، وليس.....

لماذا من ذكرناهم لا يستحقّون مسمّى المبدع الحقيقي؟

لأن المسميات والأوصاف التي ذُكرت هي نتائج وآثار وأبعاد للمبدع الحقيقي الذي سنصل إليه بعد قليل. لكن على ماذا يعتمد المبدع الحقيقي؟

المبدع الحقيقي لا يعتمد على أي مجال بعينه؛ فهو ليس الفيزيائي ولا الكيميائي ولا الأحيائي ولا الرياضي ولا الفلكي ولا الاقتصادي ولا السياسي ولا الشاعر ولا الخطيب ولا الإمام ولا الأديب ولا المحاضر ولا غيرهم.

كما أنه لا يعتمد على قدرة محددة، أو مهارة محددة، أو موهبة محددة، أو فن محدد، أو علم محدد، أو صفة محددة؛ فجميع هذه الأشياء وسائل وطرق وأساليب للإبداع.

على ماذا يعتمد المبدع الحقيقي؟

يعتمد المبدع الحقيقي على دافع غريزي، وميل فطري، وتفاعل ذاتي، يسبق اكتساب ما سيحدّد صفاته ومواصفاته وسماته وقدراته وهباته ومهاراته وطرقه وأساليبه وأفكاره واهتماماته وأهدافه وغاياته ومجاله وتخصّصه.

ما الذي يؤثّر في المبدع الحقيقي؟

التربية تؤثّر في طبيعة المبدع الحقيقي، والتعامل يؤثّر في سلوك المبدع الحقيقي.

من هو المبدع الحقيقي؟

الطفل هو المبدع الحقيقي؛ فهو مولِّد الفضول، والساعي إلى المعرفة، والمطّلع على ما حوله بعين واسعة. لكن لماذا الإبداع الحقيقي مرتبط بالطفل؟

الطفولة هي ميدان الاستكشاف، وأرضية الفضول، وسماء الدهشة، وطريق البحث، وواحة التزوّد بكل جديد، ونافذة الاطلاع على غير المألوف، وبحر التبحّر في الماهيات، وهي مرحلة إثبات الذات وتحديد الصفات والسمات والمواصفات، وهي الرحلة نحو الخبرات والقدرات والمهارات والإبداعات.

لكن إذا كانت الطفولة هي سرّ الإبداعات الحقيقية، فلماذا ليس جميع البشر مبدعين؟

الانعزال عن الطفولة يعزل معطيات الإبداع الأولية عن العاقل البالغ، وتجميد طبيعة الطفل في البالغ الناضج العاقل يجمّد محرّكات وآليات الإبداع، وتعطيل الميول الطفولية عن المهام العلمية والعملية يعزل عوامل تطوير العلم والعمل عن العلم والعمل، وهذا هو سبب قلّة المخترعين والمبتكرين والمبدعين والمكتشفين والمجدّدين في العالم.

المبدع الحقيقي هو من حافظ على طفولته واعتنى بطفله، وهو من لم يحرم طفله من التطوّر. فالطفل الحرّ، المتحرّر من المخاوف، هو من سيصبح اللامع والساطع والشاسع بالعلم والمعرفة والفن والموهبة. فالعبقري، والذكي، والمفكّر، والمبتكر، والمتفكّر، والمنظّر، والمخترع، والمكتشف، والمخطّط، والمحقّق، وكل ما يوصف بالدقّة والسعة والعمق والأصالة، إنما هي امتدادات لحرّية الطفل الوارث ممّن قبله، ما يجعله عظيماً في زمانه إن لم يتخلَّ عن معطيات طفولته المبكرة، كالميل إلى الاستكشاف والفضول والبحث والمعرفة والعلم.

إن تلوّثت طفولتك بوحل الحياة، فلا تقلق؛ فهناك إمكانية لتطهير ذاتك. فما تجمّد يميع، وما تصلّب يذوب، وما حُبس يخرج من محبسه. وما عليك فعله من هذه اللحظة هو عدم إهمال فضولك، وعدم نسيان طفلك، والسعي لتجديد أحلامه وأمانيه، فهو أعظم وأقدم ما فيك.

لا تكبر إن نضجت،
فما يجعلك مبدعًا
هو أصغر ما فيك.

عبد القادر سفر الغامدي
قاص و فنان مسرحي . السعودية

الأسود الذي أحببته

دوما أراهم يُسقطون ظلالَهم على السواد،

وكأنما الليلُ هو الذي أطفأ قلوبهم، فيرددون دون وعي : هذا يومٌ أسود ، وتلك قائمةٌ سوداء ، وذلك قلبٌ أسود...!

كأنهم لم يعرفوا أن الشرَّ لا لون له، وأن العتمة التي يخشونها إنما تسكن داخل الإنسان منهم لا حوله.

لم يدركوا أن السواد

هو وشمُ الحياة الأول

لونُ البذرة حين تختبئ في التربة لتولد، ولونُ الأرض حين تستعدُّ للإخصاب ،ولونُ الليل وهو يعصرُ الضوءَ من بين أهدابه ؛ ليصنع فجراً جديداً.

السوادُ ليس نقيصةً تُستر، بل عمقٌ تُغترف منه القوّة ، ووقارٌ يليق بتاريخٍ يمشي على صهوته الزمن .

إنه لونُ الأرض التي علّمت العالم كيف ينهض الإنسان من قلب الهامش ؛ ليصنع مركزه بيديه.

فليقولوا ما شاؤوا

فلسوف يبقى السوادُ تاجاً على جبين مَن عرف أصله، وعبارةً لا تُهان إلا بمن نطقها.

أما أنت أيها الأسود البهي فاحمل السوادَ كما يحمل الفجر سرَّ ولادته ، وعلمنا أن القيمة ليست في لونٍ يكسو الجسد ، بل في روحٍ تضيء مهما أثقَلَها لون ليل نفوسهم .

قهوة من نشيد

حسن محمد الزهراني
كاتب. شاعر. السعودية

تحتسيني القُرى
قهوةً من نشيدْ..
*
أحتسيها شموعًا
تضيء الوريدْ ..
*
أتسلّل في عمق ذاكرة
الليل فيها
وأمسح قنديل روحي
بمنديل إطراقها
حين تُصغي إلى وقع نبضي
الجريحْ ..
*
وَ تَبتلّ أغصانها
برذاذ الأسى
من غمامات حلمي الكسيحْ ..
*
كيف أبكي ولا دمع لي؟!
أين وجهي الذي كان
يرسم للفجر درب الضياء الفسيحْ ؟!
*
كان ينساب ممتزجًا بالنّسيم
المعطّر بالطّهر
قبل انبلاج النهار .
يتماهى مع الهيل في قهوة الصبح
عمرًا جديدْ!!!...
*
كنتُ شمسًا أطرز
من ظل أهدابها الخضر عند الضحى
كل حلمٍ بعيدْ .....
*
كان للماء في نبض (فُلجانها)
من صَبَا مهجتي
ما يريدْ ....
*
كان قلبي لِأغصان رُمانها
(زَافِراً) زافرا
والشرايين (شَحْطاً) لِأعنابها
لا تَمس (الصعيد).....
*
كنت
كانتْ.
ومازلت في حضنها
ميّتًا حين ماتت.
فمن يبعث الروح من روحها
قبل يوم الوعيد؟؟!!
قبل
يوم
الوعيد ...

نوال عودة
كاتبة وقاصة. مصر

صناعة التفاهة

ساحة ..

ق.ق.ج

في ساحة الفراغ الثقافي صنعت آلة الإعلام الجائعة، والجماهير الساذجة المتلهّفة للضجيج، شخصًا تافهًا، عديم الفكر والموهبة، لأسطورة تُباع صورتها على القمصان، ويُدفع له الملايين مقابل سلوكيات عديمة الجدوى.

انتهت القصة.
المغزى والمعنى من قصتي وَدِدتُ أن أقول:

لى متى تتفاقم ظاهرة عبادة التافه؟

حين يتحوّل الفاشلون إلى رموز وأيقونات،

وتُصنع لهم شهرة زائفة،

وتتحوّل فضائحهم وإسفافاتهم إلى "ترينداتٍ".

أيّها القرّاء الأعزّاء، تعالوا نغوص معًا في هذه الهاوية الروحية.

في زحمة الضجيج الرقمي وتفاهة الإعلام الحديث، نشهد ظاهرة غريبة تنامت كالوَرَم الخبيث في جسد الثقافة؛ حيث تحوّل التافهون والفاشلون إلى رموز فنية وغنائية، ويتبارى الجمهور في تقديسهم، وتُسكب عليهم الأموال كالسيل، ويُرفعون إلى قمم الشهرة دون أي مبرر حقيقي.

إنها "عبادة التافه"، مرض اجتماعي خطير يستحق التوقف والتدبّر.

وهنا يطفو على أنفاسي سؤال مُلحّ: لماذا يحدث هذا التحوّل المشين؟

تتزاحم الأسباب، وأذكر منها:

انحدار الذوق العام وتسطيح الوعي:

في زمن السرعة والسطحيات، تتراجع قدرة شريحة واسعة من الجمهور على التمييز بين الجودة الحقيقية والزيف المصنّع.

فيُستبدل العمق بالصخب، والفكر بالمظهر الفارغ، والإبداع بالمجرّد الخالي من القيمة، لكنه ملفت للانتباه، ولو كان سلبيًا.

فيغدو "الوجود الإعلامي" هدفًا بحد ذاته، بصرف النظر عن القيمة أو المضمون.

طغيان الإعلام ووسائل التواصل الاجتماعي:

لم يعد الإعلام ناقلًا للحدث، بل صانعًا للنجوم.

فتكرار الصورة أو الفيديو، مهما كان محتواهما تافهًا أو مهينًا، كفيل بصناعة شهرة مصطنعة.

وتتحوّل الفضائح والإسفافات إلى "ترينداتٍ"، ويصبح المسيء للتصرّف محور الحديث، بينما تستثمر فيه الآلة الإعلامية الجائعة للمشاهدات، غير عابئة بالأثر الثقافي المدمّر.

جشع رأس المال والاستثمار في التفاهة:

يرى بعض المنتجين ورجال الأعمال في هذه النماذج "منتجًا" سهل التسويق، لا يتطلّب موهبة حقيقية ولا جهدًا طويلًا، بل يكفي إثارة الجدل أو تقديم محتوى هابط يُشبع فضولًا رخيصًا أو غرائز بدائية.

فيصبح الربح السريع هو الغاية، ولو كان الثمن تلويث الوعي العام.

أزمة القدوة الحقيقية:

عندما تغيب النماذج الملهمة في الفن والفكر والقيادة، أو تُهمّش وتُقصى، يبحث الجمهور، ولا سيما الشباب، عن بديل يملأ الفراغ.

فينخدعون بالبريق الزائف لهؤلاء "التافهين" الذين يقدّمون أنفسهم بوصفهم صوت الشارع أو نقيض المعايير التقليدية التي يُفترض أنها راقية، فيتحوّلون، خطأً، إلى رموز تمرّد زائفة.

ثقافة الاستهلاك والاستعراض:

في مجتمعات تُقدّس المظاهر والثروة السريعة، يصبح "النجوم التافهون" الذين يستعرضون المال الفاحش، حتى لو كان من مصادر مشبوهة، ونمط الحياة الفارغ، نموذجًا يُحتذى لدى فئات تفتقر إلى البوصلة الأخلاقية والطموح الحقيقي.

فتتحوّل التفاهة والثراء السريع إلى هدف بحد ذاته.

وهنا يأتي دوري كامرأة عربية لأوضّح بعض العواقب المدمّرة:

حين يُهمَل الفنانون الحقيقيون والمبدعون الجادّون لصالح صخب التافهين، يصبح معيار النجاح هو الإثارة لا الجمال، ولا الفكرة، ولا الإتقان.

وتُشوَّه القيم، فتُرسَّخ أنماط سلبية كالغُرور بلا إنجاز، والثراء بلا جهد أو موهبة، والاستهتار بالأخلاق والمعايير، حتى يغدو الفشل والإسفاف طريقًا للنجاح.

كما تُهدَر طاقات الشباب، ويُغرَّر بهم بوهم الشهرة السهلة والثراء السريع، فيبتعدون عن التعلّم الجاد وبناء المهارات، ويستنزفون أعمارهم في تقليد نماذج زائفة.

وعندها يتآكل الذوق العام، وتضعف القدرة على النقد والتمييز بين الغث والسمين.

وهنا أصرخ كامرأة عربية: لا بدّ أن نتكاتف جميعًا، حتى لا نكون شركاء في هذا الجرم اللعين أمام الله، وهو ما يتطلّب وعيًا جماعيًا وجهدًا منظّمًا:

التربية والتنشئة، عبر غرس الذوق النقدي والجمالي منذ الصغر، وتعزيز قيمة الجهد والموهبة والإبداع الأصيل في البيت والمدرسة.

تمكين القدوات الحقيقية، بإبراز الفنانين والمفكرين والمبدعين الجادّين، وإتاحة مساحات أوسع لهم في الإعلام والمنصّات.

مسؤولية الإعلام، بتحويل بوصلته من الإثارة والفضائح إلى الإنجازات الحقيقية والمحتوى الهادف، مع تطوير نقد فني رصين.

وعي المستهلك، بمقاطعة المحتوى التافه ورفض تمويله بالمشاهدة والمتابعة، ودعم الأعمال الجادّة.

تفعيل النقد البنّاء، بتشجيع خطاب نقدي يكشف الزيف ويميّز الجودة، دون تشهير أو إقصاء.

أخيرًا، إن تحويل التافهين والفاشلين إلى رموز فنية وثريّة ليس ظاهرة عابرة، بل جرس إنذار يدق ناقوس خطر حقيقي يهدد ثقافتنا وقيمنا ومستقبل أجيالنا.

إنه انعكاس لمرض عميق في الذوق العام والوعي والمنظومة القيمية.

ومواجهة هذه الآفة ليست ترفًا فكريًا، بل ضرورة لإنقاذ روح المجتمع من الغرق في بحر التفاهة والفراغ.

وللتأكيد أن الشهرة والثروة ينبغي أن تكونا ثمرة جهد حقيقي، وموهبة أصيلة، وإضافة قيمة، لا مجرد ضجيج أو استفزاز فارغ.

فلنرفض عبادة التافه، ولنعِد البوصلة إلى موضعها الصحيح، حيث يستحق الفن الحقيقي والقدوة الصالحة أن يكونا في القمّة.

أحمد بن عفيف النهاري
كاتب وقاص. اليمن

نشتعل حتى الفناء
أمةٌ تُعيد حرب البسوس ولا تتعلّم

كلَّ يومٍ نقطعُ ورقةً من روزنامة أعمارنا.
أحيانًا نطالع ما كُتب فيها من حكمٍ وأمثال،
وأحيانًا نقرأ طوالع الأبراج وتخرُّصات المنجِّمين،
ثم نمضي في حياتنا كأننا نضيف إليها شيئًا جديدًا،
بينما نحن، في الحقيقة، نزداد نقصًا واضمحلالًا.
نذوي وننطفئ رويدًا رويدًا،
كأننا شمعةٌ تستمر في الذوبان؛
مشتعلون، نعم،
لكننا – مع الأسف – لا ننتج نورًا جديدًا.
وأنا هنا لا أحكي عن نفسي فحسب،
بل أحكي عنّا بوصفنا أمةً كبيرة،
تبدأ من تركستان الشرقية،
ولا تنتهي عند تخوم جبال الأنديز.
أمةٌ واسعة الامتداد،
لكنها – ويا للمفارقة – غثائية الأثر.
الأمم من حولنا منشغلة بالبناء،
بالتطوير،
بتحديث أنماط حياتها،
بينما نحن إمّا غارقون في التنقيب عمّا اندرس من تواريخنا،
أو مستنزَفون في المكايدات والمماحكات الداخلية.
العالم يخطط وينفّذ،

ونحن حاضرون في خططه بنسبةٍ كبيرة،
لكننا غائبون عن أي خطةٍ تخصّنا.
نُقاد ونُسَاس كالجياد في مزرعةٍ ما،
ثم يُلقى بنا في مضمار السباق،
فننطلق نزفر أنفاسنا،
ونضرب الأرض بحوافرنا؛
فإن تعثّرت داحس،
مضت الغبراء تعلن فوزها.
يقفز فرسان داحس،
يمتشقون سيوفهم،
ويُعملون الطعن في صدور بني الغبراء،
بينما مهندسو الطغيان
يقفون في خلفية المشهد،
يقهقهون،
ويجمعون الغنائم،
ثم يعيدون تدويرنا
وإعادة إنتاجنا
مرةً بعد مرة.
ونحن، كما نحن،
لا نزال نختلف:
هل كان كليب مخطئًا أم كان جسّاس الغدّار؟
أكان حمق الزير سالم،
أم غباء الحارث بن عباد،
حين بعث بابنه جبير
ليكون قربانًا بدلًا عن كليب،
فقتله الزير بشِسع نعل كليب،
ولم تتوقف الحرب؟
ترى، هل ونحن ندلف إلى عام 2026، سندرك أخيرًا أن خالتنا البسوس امرأةٌ لا خير فيها؟
هل سنقبل بما عُرض علينا
قبل أن تُستباح الدماء،
ونحقن دماءنا
ودماء بني عمومتنا من بني بكر؟
أم سنظل،
شمعةً تذوب،
مشتعلةً بلا ضياء؟

أكاديمية حكماء الشرق

Academy of Eastern Sages

أكاديمية حكماء الشرق

Academy of Eastern Sages

دراسات، أبحاث، علاقات، إستشارات حكمية، برامج علاجية وتدريب